

كتاب
الدلائل والإعتبار
على الخلق والتدبير

تأليف
الامام أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
المنوف سنة ٢٥٥هـ

حقوق الطبع محفوظة للناسخ

١٩٨٨ - ١٩٨٧

بيروت - لبنان

طبعة جديدة

مكتبة الكليات الأزهرية

القاهرة - ص. ب ٦٧ الأزهر (١١٦٧٥)

٩ شارع الصناديق - الأزهر

هاتف (٩٣١٢٩٦)

دار النشر الإسلامية

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - شارع مدام كوري - هاتف ٨١٠٨١٩ - ص. ب ١٢٥١٢٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على محمد وآله وعلى جميع أنبيائه

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ إن ناساً حين جهلوا الأسباب والمعاني وقصروا في الخلقة عن تأمل الصواب والحكمة فيها خرجوا إلى الجحود والتكذيب حتى أنكروا خلق الأشياء وزعموا أن كونها بأهمال لا صنعة فيه ولا تقدير فكانوا بمنزلة عميان دخلوا داراً قد بنيت أتقن بناء وفرشت أحسن فرش وأعد فيها ضروب الأطعمة والأشربة والمآرب ووضع كل شيء من ذلك في موضعه على صواب وتقدير فجعلوا يسعون فيها محجوبة أبصارهم فلا يبصرون هيئة الدار وما أعد فيها وربما عثر الواحد منهم بالشيء قد وضع موضعه وأعد لشأنه وهو جاهل بالمعنى فيه فتدمر وتسخط وذم الدار وبانيها.

فهذه حال هذا الصنف في إنكارهم ما أنكروا من الخلقة وأنهم لما غيبت أذهانهم عن معرفة الأسباب والعلل في الأشياء صاروا يحولون في هذا العالم كالخيارى لا يفقهون ما هو عليه في إتقان خلخته وصواب هيئته وربما وقف الواقف منهم على الشيء يجهل سببه والأرب فيه فيسرع إلى ذمه وعيبه ووصفه بالخطأ والأحالة كالذي أقدمت عليه رجاهرت به المنانية الكفرة وأشباههم من أهل الضلال.

فحق على من أنعم الله عليه بمعرفته ووقفه لتأمل هذه الخلقة والوقوف على ما في خلقها من لطف التدبير وصواب التقدير بالدلائل القائمة فيها أن لا يقصر في إظهار ما بلغه علمه من ذلك. بل يجهد في نشره وإذاعته وإيراده على المسامع والأذهان لتقوى دواعي الإيمان وتحيب مكيدة الشيطان في تضليل الروهم محتسباً للثواب في ذلك واثقاً بعون الله تعالى وتأيدته إياه.

فقد نكفنا جميع ما وقفنا عليه من العبر والشواهد على خلق هذا العالم وتأليفه وصواب التدبير فيه وشرح الأسباب والمعاني في ذلك بمبلغ علمنا في كتابنا وتوخينا إيضاح القول فيه وتنويره والإيجاز فيما شرحنا ليسهل فهمه ويقرب مأخذه على الناظر فيه ورجونا أن يكون في ذلك شفاء للناكر المرتاب وزيادة في يقين الموفق وبالله التوفيق . فأول العبر بهيئة هذا العالم وتأليف أجزائه وتنظيمها على ما هي عليه . فإنك إذا تأملت العالم بفكرك وجدته كالبنيان المعد فيه جميع عتاده . السماء مرفوعة كالسقف والأرض ممدودة كالسطح والنجوم منضودة كالمصابيح والجواهر مخزونة في معادنها كالذخائر وكل شيء منها لشأنه وما يراد به . والإنسان كالمالك للبيت المخول لما فيه وضروب النبات مهياة لمآربه وصنوف الحيوانات مصرفة في مصالحه ففي هذا دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتدبير وتقدير ونظام . وإن الخالق له واحد هو الذي ألفه ونظم بعضه إلى بعض وذلك مما قال فيه الأولون فأحسنوا القول ولكننا ننصرف إلى فن آخر من دقائق الخلقة فنبين عما فيه من الصواب والحكمة مع النظام والملائمة وفي ذلك توبيخ للقائلين بالإهمال والقائلين بأصلين متضادين^(١) لأن الإهمال لا يأتي بالصواب والتضاد لا يأتي بالتضابير (فكر في لون هذه السماء) وما فيها من صواب التدبير فإن هذا اللون أشد الألوان موافقة للأبصار وتقوية لها حتى أن من صفات الأطباء لمن أصابه شيء أضر ببصره إدمان النظر إلى الخضرة ما قرب منها إلى السواد . وقد وصف الخذاق منهم لمن كل بصره الإطلاع في إجابة خضراء مملوءة ماء .

فانظر كيف جعل هذا الأديم أديم السماء بهذا اللون الأخضر إلى السواد لتمسك الأبصار المتقلبة عليه فلا ينكس فيها بطول مباشرتها له فصار هذا الذي أدركه الناس بعد التفكير والتجارب يوجد مفروغاً منه في الخلقة .

(فكر في طلوع الشمس وغروبها) لإقامة دولتي النهار والليل فلولا طلوعها

(١) الأصلان المتضادان هما الذكر والأنثى والحر والبارد أو الحركة والسكون أو الجنة والنار أو العلم واللوح أو طريقا الأعلى والأسفل أو من هاهنا هاهنا .

البطل أمر العالم كله فكيف كان الناس يسعون في حوائجهم ومعاشهم ويتصرفون في أمورهم والدنيا مظلمة عليهم وكيف كانوا يتهنون بلذة العيش مع فقدهم للذة النور وروحه . فالارب في طلوعها ظاهر مستفن بظهوره عن الأطناب فيه . ولكن تأمل المنفعة في غروبها فإنه لولا غروبها لم يكن للناس هدو ولا قرار مع عظم حاجتهم إلى الهدو ولراحة أبدانهم وجوم حواسهم وإنبعاث القوة الهاضمة لهضم الطعام وتنفيذ الغذاء إلى الأعضاء كالذي تصف كتب الطب من ذلك . ثم كان الحرص سيحملهم إلى مداومة العمل ومطاوكته على ما تعظم نكايته في أبدانهم فإن كثيراً من الناس لولا جثوم هذا الليل بظلمته عليهم لما هدؤا ولا قروا حرصاً على الكسب والجمع ثم كانت الأرض ستحمي بدوام شروق الشمس واتصاله حتى يحترق كل ما عليها من حيوان ونبات فصارت بتدبير الله تطلع وقتاً وتغيب وقتاً بمنزلة سراج يرفع لأهل البيت ملياً ليقضوا حوائجهم ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليهدؤا ويفروا فصار الظلمة والنور على تضادهما متعاونين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم وقوامه .

ثم فكر بعد هذا في ارتفاع الشمس وانحطاطها لأقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة وما في ذلك من المصلحة ففي الشتاء تغور الحرارة في الشجر والنبات فتولد فيه مواد الشمار ويستكثف الهواء فينشأ منه السحاب والمطر وتشتد أبدان الحيوان وتقوى الأفعال الطبيعية . وفي الربيع تتحرك الطبايع وتظهر المواد المتولدة في الشتاء فيطلع النبات وينور الشجر ويهيج الحيوان للسفاد .

وفي الصيف يجتدم الهواء فتضج الشمار وتتحلل فضول الأبدان ويحجف وجه الأرض فيتهيأ للبناء والاعتمال . وفي الخريف يصفو الهواء فترفع الأمراض وتصح الأبدان ويمتد الليل فيمكن فيه بعض الأعمال الطويلة إلى مصالح أخرى لو تقصّي ذكرها طال الكلام فيها .

(فكر في تنقل الشمس) في هذه البروج لإقامة دور السنة وما في ذلك من التدبير فهذا الدور هو الذي يضم الأزمنة الأربعة من الشتاء والربيع والصيف والخريف ويستوفيهما على التمام لأنه في هذا المقدار من دوران الشمس ندرك

الغلات والثمار وتنتهي إلى غاياتها من النضج والصلاح ثم يعود فيستأنف النشوء والنمو. فما أحسن ما قال الأولون الزمان مقدار الحركة ألا ترى أن السنة مقدار مسير الشمس من الحمل إلى الحمل فبالسنة وأجزائها يكال الزمان وتوزن الأوقات من لدن خلق الله العالم إلى كل وقت وعصر وبها يحسب الناس الأعمار والأوقات المؤقتة للديون والاعاريات والمعاملات وغير ذلك من أمورهم وبمسير الشمس تكمل السنة ويقوم حساب الزمان على الصحة.

[فأما مسير القمر] ففيه دلالة واضحة جليلة تستعمله العامة في معرفة الشهور ولا يقوم عليه حساب السنة لأن دوره لا يستوي في الأزمنة الأربعة ونشوء الشمار وتصرفها ولذلك صارت شهور القمر وسنوه تتخلف عن شهور الشمس وسنيها وصار الشهر من شهور القمر يتنقل فيكون مرة في الشتاء ومرة في الصيف.

(تأمل) شروق الشمس على العالم كيف دبر أن يكون فإنها لو كانت تبرز في موضع من السماء فتقف فيه لا تعدوه لما وصل شعاعها إلى كثير من الجبال لأن الجبال والجدران كانت تحجبها عنها فصارت بتدبير الله تطلع أول النهار من المشرق فتشرق على ما قابلها من المغرب ثم لا تزال تدور وتغشي جهة بعد جهة حتى تنتهي إلى المغرب فتشرق على ما استتر عنها في أول النهار فلا يبقى موضع من المواضع إلا أخذ بقسط من الإرب فيها.

(فكر في مقادير الليل والنهار) كيف وقعت على ما فيه صلاح هذا الخلق فصار منتهي كل واحد منها إذا امتد خمس عشرة ساعة لا يجاوز ذلك أرايت لو كان النهار مقدار مائة ساعة أو مائتين ألم يكن في ذلك بوار ما على الأرض من حيوان أو نبات. أما الحيوان فكان لا يهدأ ولا يقر طول هذه المدة من العمل ولا البهائم كانت تمسك عن الرعي لو دام لها ضوء النهار ولا الإنسان كان يفتر عن العمل والحركة فكان ذلك ينهكها أجمع ويؤديها إلى التلف.

وأما النبات فكان يدوم عليه حر النهار ووهج الشمس حتى يحترق ويحرف وكذلك الليل لو امتد مقدار هذه المدة كان يعوق أصناف الحيوان عن الحركة والتصرف وطلب المعاش حتى تموت جوعاً وتخمد الحرارة الطبيعية من النبات حتى

يعفن ويفسد كالذي نراه يحدث على النبات إذا كان في موضع لا تقع عليه الشمس .

(فكر في إنارة القمر) والكواكب في ظلمة الليل والأرب في ذلك فإنه مع الحاجة إلى الظلمة ولهدوء الحيوان ويرد الهواء على النبات لم يكن صلاح في أن يكون في الليل ظلمة داجية لا ضياء فيها فلا يمكن فيه شيء من العمل لأنه ربما احتاج الناس إلى العمل لضيق الوقت عليهم في بعض الأعمال أو لشدة الحر وإفراطه بالنهار فيعمل في ضوء القمر أعمالاً شتى كحراث الأرض وضرب اللبن وقطع الخطب وما أشبه ذلك فجعل ضوء القمر بالليل معونة للناس على هذه الأعمال إذا احتاجوا إلى ذلك وجعل طلوعه في بعض الليل دون بعض ونقص مع ذلك عن نور الشمس وضياؤها لكيلا ينسبط الناس في العمل بالليل فيه انبساطهم بالنهار ويتمنعوا من الهدوء والقرار فينكسهم ذلك وجعل في الكواكب جزءاً يسيراً من الضوء ليسد مسداً إذا لم يكن قمر ويمكن فيه بعض الحركة إذا حدثت ضرورة كما قد يحدث على المرء من الحوادث التي يحتاج معها إلى النجاة والسعي في جوف الليل المظلم فإن لم يكن شيء من الضوء يهتدي به لم يستطع المرء أن يزول عن مكانه . فتأمل لطف الحكمة في هذا التقدير حيث جعلت للظلمة دولة ومدة للحاجة إليها وجعل خلالها شيء من النور للمآرب التي وصفنا ثم في النجوم مآرب أخرى فإن فيها علامات ودلالات على أوقات كثيرة من الأعمال كالزراعة والغراسة والسفر في البر والبحر وأشياء مما تحدث في الأزمنة من الرياح والحر والبرد وبهذا يهتدي الساري في ظلمة الليل ويقطع القفار الموحشة واللجج الهائلة مع ما في تردها في هذه السماء مقبلة ومدبرة ومشرقة ومغربة وفي نصريف القمر خاصة في مهلة ومحاقة وزيادته ونقصانه وكسوفه من التنبيه على قدرة خالقها المصرف لها هذا التصريف لصلاح العالم .

ومما يدل عليه القياس أن هذه المصابيح تسير أسرع السير وأحشه وذلك أنها تدور في كل يوم وليلة دوراً تاماً حتى ترجع إلى مراجعها فتطلع منها فلولا سرعة سيرها لما قطعت هذه المسافة البعيدة في مقدار أربعة وعشرين ساعة . أفرايت لو

كانت الشمس والنجوم بالقرب من حتى شين لما سرعة سيرها بكنه ما هي عليه لم تكن تستحفظ الأنصار بوجهها وشعاعها كالذي يحدث أحياناً من الروق إذا تواتت واصطربت في الجو وكذلك أيضاً لو أن ناساً كانوا في قبة مكللة بمصابيح تدور حولهم دوراً حثيثاً لحارت أنصارهم حتى يجرو بوجوههم فانظر كيف قدر أن يكون مسيرها في البعد البعيد لكيلا تصر الأنصار ويكأ فيها اسور وأسرع السرعة لكيلا تتحلف عن مقدار الحاجة من سيرها

(فكر في هذه النجوم) التي تظهر في بعض السة وتختب في بعضها كمثل الثريا والخوراء والشعري فإنها لو كانت بأسرها تظهر في وقت واحد وتختب وقتاً واحداً لم يكن لكل واحد منها على حباله دلالات يعرفها الناس ويبتدون بها لبعض أمورهم كمعرفتهم الآن بما يكون في طلوع الثريا والخوراء إذا طلعت واحتجبها إذا احتجبت فصار ظهور كل واحد منهما واحتجابه في وقت غير وقت الآخر ليستمع الناس بما يدل عليه كل واحد منهما على حدته، فكما جعلت الثريد وأشاهها تظهر حياً وتختب حياً لصروب من المصلحة كذلك جعلت سات نعش طاهرة ولا يعيب لصرب آخر من المصلحة فإنها تمرله الإعلام التي يهتدي بها الناس للطرق المجهولة في البر والبحر معاً وذلك أنها لا تعب ولا توارى أصلاً فهم يبتدون إليها متى أرادوا ويبتدون بها إلى حيث شاؤوا وصار الأمر جميعاً على اختلافها من جهتين نحو الأرب والمصلحة

(فكر في النجوم) واختلاف سيرها فصرقة منها لا تدبم مراكزها من الملك ولا تسر إلا سر صعباً مخمعة وقرقة مطلقة تنقل في البروج وتفترق في مسيرها فكل واحد منها يسير سيرين مختلفين أحدهم عدم مع الملك نحو العرب وآخر حاصر لنفسه مع المشرق، وقد شبه الأولون هذه المطلقة نملة تدب على رحي والرحا تدور ذات اليمين واليسار تدور ذات الشمال فإن النملة في تلك الحال تتحرك حركتين مختلفتين إحداهما بنفسها مترجهة أمامها والآخرى مستكرهة مع الرحي تجتذنها إلى خلفها فليسأل الراعمون أن النجوم صارت على ما هي عليه بالإهمال ومن غير عمد ما معها أن تكون كلها راتنة أو تكون كلها منتقلة من

الإهمال معنى واحد فكيف صار بحركاتٍ مختلفتين على تقدير وورن فهذا بيان أن مسير المريقيين على ما سيران عليه بعمد وتدبير وليس بإهمال كما ترعم المعطلة فإن قلت ولما صار بعض النجوم راتياً وبعضها متقلاً قلنا إنما لو كانت كلها راتية بطلت الدلالات التي تكون من ثقل المتقنة منها ومصرها في كل واحد من لبروح ربما محدوداً كما قد يستدل على أشياء مما يحدث في العالم تنقل الشمس والقمر والنجوم في مدارها ولو كانت كلها متقلة لم يكن لمسيرها مدار تعرف ولا رسم يقاس عليه لأنه إنما يقاس مسير المسئلة تنقلها في الروح الراتنة كما يقاس سير السائر على الأرض بالمازل التي يجتار عليها

وجملة القول أنها لو كانت بحالة واحدة لأحتل نظامها وبطلت المآرب فيها ولساع نقائل أن يقول أن كيويتها على حال واحد يوجب عليها الإهمال من الجهة التي وصفت فهي اختلاف مسيرها ونصرها وما في ذلك من الإرب والمصدحة أين دليل على العمدة والتدبير فيها

(فكر) لم صار هذا الثلث شمس وقمر ونجومه وبروجه بدور على العالم هذا الدوران لدائم هذا التقدير والورن إلا لما في اختلاف لهار والليل وهذه الأركان الأربعة من لسة على الأرض وما عليها من أصناف الحيوان والسات من صروب المصلحة كالذي بيأ وحصا انما وهل يحى على دي لب أن هذا تقدير مهدر لصواب وحكمة من مقدر حكيم

فإن قلت أن هذا شيء أتفق أن يكون هكذا فما يمنعك أن تقول هذا في دولاب تراه يدور لسقي حديقة فيها شجر وسات فترى كل شيء من آله مقدرًا بعضها تلقاء بعض على ما فيه صلاح تلك الحديقة وما فيها ومما كنت تثت هذا القول لرفقته وما ترى لناس كانوا قائلين لك لو سمعوه مث سوى تسفيه رأيك وتصيب عملك أفترى أن تقول هذا في دولاب خسيس مصروع بحيلة تصيره لمصلحة قطعة من الأرض أنه كان بلا صنع ومقدر وتقدم على أن تقول هذا الدولاب الأعظم المخلوق بحكمة تقصر عنها أدهان الشر لصلاح جميع الأرض وما عليها أنه شيء أتفق أن يكون بلا صنعة ولا تقدير لو اعتل هذا الملك كما تحتل

هذه الآلات التي تتحد لرفع الماء وغيرها ما كان عند الناس من الحيلة في صلاحه ولو خلعت عنهم مقدار عام أو بعض عام كيف تكون حالهم بل كيف كان يكون لهم مع ذلك بقاء أفلا ترى كيف كفى الناس هذه الأمور الجلييلة التي لم يكن لها فيها عندهم حيلة فصارت تجري على محاريبها لا تعتل ولا تختل مفاعيلها ومصالحها ولا تتحلف عن مواقيتها لصلاح العالم وما فيه .

(فكر) في هذا الحر والبرد وكيف يتعاوران العالم ويتصرفان هذا التصرف في البرودة والقيصان والاعتداد بإقامة رسوم هذه الأزمنة الأربعة من السنة وما فيها من المصالح ثم هما بعد دناغ الأبدان عليهما بقاؤها وفيها صلاحها فإنه لولا الحر والبرد وتداوهما الأبدان لفسدت الأبدان وانتكثت قواها وانتقضت في أسرع مدة . (ثم فكر) في دخول أحدهم على الآخر هذا التدريج والترسل فإنك تجد أحدهم ينقص شيئاً بعد شيء والآخر يريد مثل ذلك حتى ينتهي كل واحد منهما منتهاه في الرادة والقيصان ولو كان دخول أحدهما في الآخر مفاعلة لأضر ذلك بالأبدان وأسقمهما كما أن امرؤ لو خرج من حمام حار إلى موضع مفرط البرد لضره ذلك وأسقم بده فلم يكن هذا الترسل في دخول الحر والبرد إلا للسلامة من ضرر المفاعلة ولم يجري ذلك الأمر على ما فيه لسلامة من ضرر المفاعلة لولا تدبير المدبر في ذلك .

فإن رعت أن هذا الترسل في دخول الحر والبرد إنما يكون لإبطاء مسير الشمس في إرتفاعها وانحطاطها سألت أيضاً عن العلة في إبطاء مسير الشمس في الإرتفاع والانحطاط فإن اعتللت في الإبطاء بعد ما بين المشرقين وسئلت عن العلة في ذلك فلا تزال هذه المسألة ترتقي معك إلى حيث رقيت من هذا القول حتى تستقر على العمدة والتدبير . لولا الحر لما كانت هذه الثمار الحاسية المرة تنضج فتلين ونعذب حتى يتفكه بها رطبةً ويابساً ولولا البرد لما كان الررع يفرخ ويربع الربيع الكثير الذي تسع للقبوت وما يرد في الأرض أفلا ترى ما في الحر والبرد من عظيم العناء والمنفعة وكلاهما مع عظم غنائه والمنفعة فيه يؤلم الأبدان ويمضها فاعتبر بهذا في كثير من الأمور التي تمض الناس وتحالف أهوائهم وهي من التدبير الحكيم في

نتأمل حكمة الناري في التدبير في خلق النار على ما هي عليه فإنه م يكن يصلح أن تكون مبنوثة كالسليم والماء إذا كانت تحرق العالم بما فيه ولم يكن بد من ظهوره في الأحياء لعلايتها في كثير من المصالح فجعلت كالمخروبة في الأحسام الحافظة لها تستعث عند الحاجة إليها وتمسك بالمادة والخطب ما احتيج إلى نقائها ثم تحبوا فلا هي تمسك أبدأ بالمادة والخطب فتعظم المؤنة في ذلك ولا هي تظهر مبنوثة في العالم فتحرق كلها هي عليه بل هي على هيئة وتقدير اجتماع فيه الاستمتاع بمنافعها والسلامة من ضررها.

ثم في النار حلة أخرى وهي أنها مما خص به الإنسان دون جميع الحيوان لما فيه من المصلحة فإنه لو فقد النار لعظم ما يدخل عليه من الخلل في معاشه

فأما البهائم فلا تستعمل النار ولا تستمتع بها ولما قدر أن يكون هكذا خلقت للإنسان كف وأصابع مهيأة لفتح النار واستعمالها ولم تعط البهائم مثل ذلك لكي أعيت بالصر على الحما والخلل في المعاش لكلا بساها من فقد النار ما ينال الإنسان. وانبهك من مصالح النار على خلة صغیر قدرها عظيم موقعها وهي هذا المصالح الذي يتخذ الناس فيقصون به حوائجهم ما شؤوا من ليلهم ولولا هذه الخلة لكان الناس نصف أعمارهم عملة من في القبور. فمن كان يستطيع أن يكتب أو يحفظ أو ينسج في ظلمة الليل وكيف تكون حال من عرض له وجع في وقت من أوقات الليل فاحتاج إلى أن يعالج صماداً أو سقراً أو شيئاً مما يستشفى به. فأما منافع النار في نضج الأطعمة ودفع الأعداء وتخفيف أشياء وتحليل أخرى وأشياء هذا فإنه أكثر من أن يحصى وظهر من أن يحصى حسنت هذا السليم المسمي هواء عرة وما فيه من المصالح فإنه حياة هذه الأعداء والممسك لها من داخل بم تستشئ منه ومن خارج بما يباشر من روحه وفيه تطرد هذه الأصوات فيؤديها من البعد البعيد وهو الحامس لهذه الأرياح ينقلها من موضع إلى موضع ألا ترى كيف تأتيك الرائحة من حيث تهب الريح وكذلك الصوت وهو القابل لهذا الحر والبرد اللذين يعتقن على العالم لصلاحه ومه هذه الريح الهامة فالريح تروح عن

الأجسام ونزحي السحاب من موضع إلى موضع ليعم معه ونركمه حتى يستكثف فيمطر ويغيضه حتى يستجف فتتفش وتلقح الشجر وتسير السفن وتذري الأطعمة وتبرد الماء وتشب النار وتجمد الأشياء الندية . وفي الجمعة أنها نحي كل ما على الأرض فيه لولا الريح لذوى النبات وموت الحيوان ووخمت الأشياء وفسدت . الست تري ركود الريح إذا ركدت كيف يحدث الكرب الذي يكاد يأتي على الهموس وتعرض الأصحاء ونهك المرضى وتفسد الثمار وتعفن الفول ويعقب الوباء في الأبدان والآفة في العلات . ففي هذا بيان أن هبوب الريح أكثر الأيام من التدبير الحكيم في صلاح هذا الخلق .

وأنبئك عن الهواء بخصلة أخرى فإن الصوت فيما ذكرت الحكماء أثر يؤثره اصطكاك الأجسام في الهواء والهواء يؤديه إلى المسامع والناس يتكلمون في حوائجهم ومعاملاتهم طول نهارهم وبعض ليهم فلو كن أثر هذا الكلام يبقى في الهواء كما يبقى الكتاب في القراطيس لامتلا العالم منه حتى يكرها ويقدحها ويحتاج في تبديله والاستبدال به إلى أكثر مما نحتاج إليه في استبدال القراطيس لأن الذي يلغى من الكلام ولا يكتب أصعاف ما يكتب فجعل الخلاق العليم هذا الهواء قرطاساً خفياً يحمل كلامنا ريثما يبلغ حاجتنا ثم يمحي فيعود حديداً نقياً بلا كلفة منا ولا عزم ويحمل ما حملناه أبداً بلا انقطاع .

(فكر في خلق هذه الأرض) على ما هي عليه حين خلقت رتبة راكدة لتكون رطاء ومستقراً للأشياء ويتمكن الناس والأنعام من السعي عليها في مآربهم والجلوس لراحتهم والنوم لهدوهم والأثقان لإعمالهم فإنها لو كانت رجراجة منكفئة لم يكونوا يستطيعون أن يتقنوا الساء والتجارة والحداة والصياغة والحياكة بل كانوا لا يتهون بالعيش والأرض ترتج من تحتهم واعتبر ذلك بما يصيب الناس في لزلزل على قلة مكثها حتى يصيروا إلى ترك مشارهم والهرب عنها . فإن قلت ولم صارت الأرض تزلزل (قلنا) إن الزلزلة وما أشبهها ترهيب يرهب بها الناس ليرغبوا ويسرعوا عن المعاصي وكذلك ما ينزل بهم من البلياء في أبدانهم وأموالهم من نقمة ومصيبة وفحط تجري في التدبير إلى ما فيه صلاحهم واستقامتهم وسدحهم أن

صلحوا من الثواب والعوض في الآخرة ما لا يعدله شيء من أمور الدنيا وربما عجل ذلك في الدنيا إذا كان فيه صلاح لعامة أو خاصة ثم أن الأرض في طبعتها باردة يابسة وكذلك الحجارة وإنما الفرق بينها وبين الحجارة فضل ييس في الحجارة أفرأيت لو أن اليبس أن أفرط على الأرض قليلاً حتى تكون ححراً صلباً أكست تكون تنبت هذا النبات الذي فيه حياة الحيوان أو كيف كان يمكن فيها حرث أو خضرة أو بناء فلا ترى كيف نقصت من ييس الحجارة وجعلت على ما هي عليه من اللين والرخاوة تنهياً للأعمال . ومن التدبير الحكيم في حقة الأرض أن مهب الشمال أرفع من مهب الجنوب وما كان ذلك إلا لتصدر المياه على وجه الأرض فسقيها وتروها ثم تفيض إلى البحر آخر ذلك فكما يرفع أحد جانبي السطح وينخفض الآخر لينحدر الماء عنه ولا يقوم عليه فيفسد كذلك جعل مهب الشمال أرفع من مهب الجنوب ولولا ذلك لبقى الماء متحيراً على وجه الأرض فمنع الناس من أعمالها وقطع الطرق والمسالك .

[أنظر إلى هذه الجبال] المركومة من الطين والحجارة التي قد يحسبها الغافلون فضلاً لا حاجة إليه والمافع فيها كثيرة فمن ذلك أن الثلج يسقط عليها فيبقى قللها من يحتاج في القيط إليه ويذوب ما ذاب منه فتجري منه العيون الغزيرة التي تجتمع منها الأنهار العظام وينت منها ضروب من السات والعقاقير التي لا يبت مثلها في السهل . ويكون فيها كهوف ومعقل للوحش من السباع ولعداوية وتتخذ فيها الحصون والقلاع المنيعة لتحرز من العدو وينحت منها الحجارة للساء والأرحاء ويوجد فيها معادن لصروب من الجواهر وعسى أن يكون فيها خلال أخرى لا يعرفها إلا المقلر لها في سابق علمه .

(فكر في هذه المعادن) وما يخرج منها من الجواهر المختلفة الألوان كمثل الجص والكلس والحير والجيصين والزرنيخ والزاج والمزتك والتوتيا والقصة والذهب والزربرد والياقوت والرثيق والنحاس والرصاص والحرز والحجارة وكذلك ما يخرج منها من القار والزفت والموميا والكربت والنفط وغير ذلك مما يستعمله الناس في مآربهم ومصالحهم وكيف اختلفت طبائعها وألوانها وأحوالها

فمنها ما هو سم قاتل ومنها ما يجمع من لسم وينقصه ومنها ما يقويه ويريل في فعله
فهي يحمي على دي عقل أن هذه كلها دحائر دحرت لانسار في هذه الأرض
ليستحرجها فيستعملها عند حاجته إليها

(ثم فكر في عزة هذا الذهب) والقصص وقصور حلة اناس عما حاولوا من
صنعها على حرصهم واجتهادهم في ذلك فإنهم لو ظفروا به حاولوا من هذا العلم
لكار لا محالة يستظهر ويستميص في العالم حتى يكثر الذهب والفضة ويسقط عند
اناس فلا تكون لها قيمة ويضل الانتفاع بها في الشراء والبيع والمعاملات والأتاوة
تجبي لسلطان و يدحر تدحر للأعقاب وقد أعطى لباس مع هذا صفة شبة من
الاحساس والراح من الرمل وما أشبه ذلك مما لا مصرة فيه فأظن كيف أعطوا
إرادتهم فيه لا ضرورة عليهم فيه وصنعوا ذلك فيما كان صاراً لهم لو بالوه أحسن
ألباس ممن يراول المعدن أنهم أوعلوا في بعضهما فانتهاوا إلى موضع رأوا فيه أمثال
خيار من الفضة ومن دون ذلك وادّ عظيم يجري مضافاً بجاء غريب لا يدرك غوره
ولا حيله في عبوره ثم عادوا يطربونه فم ينفقوا عليه فانصرفوا أسير

(فكر) في هذا من تدبير الخالق فإنه أراد حل شأوه ر يرى العبد قدرته
وسعة حرته يعلمو أنه بؤساء أن يحسبهم كاحمال من الفضة لفعل لكن لا
صلاح هم في ذلك لأنه كان يكون كمن دكراً من سقوط هذا الجوهر عند الناس
وقد انتفاعهم به و عثر ذلك بأنه قد يظهر شيء لطريف يحدثه الناس من الأوابي
والأمتعة في دم غريباً قليلاً فهو ليس حليل أحد لنفس وهذا فسد وكثر في أيدي
الناس سقط عندهم وحسب قيمته وفي هذا مصداق قول المثل أن نفاسة الأشياء
من عزمها

(فكر) في كثرة ما خلق الله من هذه الجواهر لأربعة يتسع الناس عما يحتاج
إليه من ذلك فمن ذلك سعة هذه الأرض وامتدادها فبولا ذلك كيف كانت تتسع
لمساكن الأسس ومرعهم ومراعيهم ومساكن أعشاشهم وأحطهم والعقابر العظيم
موقعها منهم والمعادن الخسيم عماؤف عنهم ولعلك تذكر هذه العلوات الخالصة
والنصار ابو حشة فتقول ما المنفعة فيها أمسيب أنها مسكن هذه الوحوش وعكها

ومرعاها ثم فيها متنفس ومضطرب نفس إذ احتاحوا إلى الاستسداد بأوصافهم
فكم من بقاء سمنق^(١) قد حالت قصوراً وحاماً منتقالاً لاسباب بينها وحلوهم
فيها ولولا سعة الأرض وفسحتها لكان أسس كمن كان في حصار صيق لا يجد
مدروحه من وطئه إذ حربه أمر بضطره إلى الانتقال عنه وكذلك جاء لولا تدفقه
وحريانه في العيون والأودية ولأهمار تصاق عما يحتج الناس بشربهم وشرب أعمامهم
ومواشيهم وسقي رروعهم وأشجارهم وصاف علائهم وشرب ما يردده من
الوحش والطيور وسباع ويتقلب فيه من الحذر ودوت الماء وهكذا لهواء أبيض نولا
كثرته وسعته لا تحق هذا لأنام من الدخان والحر الذي يسحر فيه ولعمر عما
يجول إلى الصبا والسحاب أولاً فأولاً

والدر أيضاً كذلك فإنها وبم تكن مشوثة في كل مكان فيها عتيده من
احتيج إليها واسعه كل ما يحج إليها منها محروقة في الأحكام لنسب الذي
ذكرنا أنها

وأذكرك من منافع ماء حلالاً أنت بها عارف وعن عظيم موقعها عارف فإن
سوي الأمر الخلس المعروف في عثائه في إحياء جميع ما على وجه الأرض من حيوان
أو نبات به تمزج الأشربة فتبين ويعتد ويصيب لشاربيها وبه يرحص الأعداء
والأمعة من مدرر الذي بعشاه وبه يس الترت ويصلح للاعتماد به وبه يكف
عادية اسار إذ صطربت وأشقى الناس منها على هلاك والمكروه وبه سيع بعض
ما عصر به فيحوي من الموت وبه يستحم التعب ويكف فيجد الراحة في أوصاله إلى
أشياء هذا من اسر التي يعرف عظم موقعها في وقت الحاجة إليها فإن شككت في
مصعة هذا الماء أكثر المتراكم في البحر فقلت ما لأرب فيه فاعلم أنه مسكن
ومضطرب لما لا يحصى من أصناف السمك ودوت سحار ومعدن لتؤنؤ والمرجان
والياقوت ونعير وأصاف شتى تسحرج من اسحر ومن سواخله نبات لعود
واليلسجوح وصروب من الطيب والعقدقر ثم بعده هو مركب للناس ومحمل لهذه

(١) السمنق كحجر لناع نصفه هرقوس

استحاربت نتي محمل من اللد نعيده كما يحدث من الصير إلى العراق ومن العراق إلى الصير وإن هذه لتحارات لو لم يكن هذا محمل إلا على لظهر لبرت وبقيت في بلدنا وبدي أهلها لأن احرة محملها كان مجور أثمها فلا يتعرض أحد لحملها وكان يجتمع في ذلك أمران أحدهما فقد أشبه كثيرة تعظم الحاجة إليها والأخر انقطاع معاش من يجلسها ويتعيش بمصلها

(فكر في روع المطر) على الأرض والتدبير فيه فيه حعن يسحدر عيها من اعلا ليعثنى ما عبط منها وارتفع فيرويه وبو كان إنما تأتيها من بعض نواحيها لما علا المواضع المشرفة منها وغفل ما يروع من الأرض ألا ترى الذي يروع سيجها أقل من ذلك والأمطار هي التي تطلق الأرض وبها يروع هذه ليراري لواسعة وسفوح الخيال ودراهم فتعل العدة لكثيرة وبها يسقط على الساس في كثر من البلاد مؤبه سبب الماء من موضع إلى موضع وما يجري بينهم في ذلك من التشاح والتظلم حتى يستأثر الماء ذو العرة والقوة ويجرمه الصعفاء

ثم إنه حين قدر أن يسحدر على الأرض احذاراً جعل ذلك قطراً شيهاً مارس ليعور في قعر لأرض فيرويه ولو كان سسكت اسكاناً كان يطل على وجه الأرض فلا يعور فيها ثم كان يحطم ردوع القائمة إذا وفق عيها فصار سرب رولاً رقيقاً فيست لحب المردوع ويحيى الردع انصائم ثم في برويه نصاً مصحح أخرى فيه يلين الأبدان ويخلو كدر اهواء فيرتفع بوباء الحادث من ذلك ويعسل ما يسقط على اشحر و ردوع من الداء اسسمى باليرقان إلى أشباه هذا من المدفع فيه

(فإن قلت) أو ليس قد يكون منه في بعض السنين الصرر العظيم لشدة وقع منه أو برد يكون منه تحطم العلات أو بحشورة يحدثها اهواء فيولد كثيراً من الأمراض في الأبدان والآفات في العلات (قلت) بل قد يكون ذلك في لمرط لما فيه صلاح لاسد نكهته عن ركوب المعاصي والتمادي فيها فتكون المنفعة له فيها يصلح له من ديه أرحح مما عسى أن يروا في ماله

(فكر في المطر والصحو) كيف يعتقد عن لعم لما فيه صلاح ولو دام واحد

مهما عليه كان في ذلك فساده ألا ترى أن الأمطار إذا تولت عصت النقول والخصر واسترحت أبدان الحيوان وحثر الهواء^(١) فأحدث صروباً من الأمراض وفسدت الطرق والمسالك. وأن الصحو إذا دام حفت الأسدن وتصوح السات ويطلو صبح الثمار وعيض ماء العيون والأودية فأصر ذلك بالناس وغلب ليس على الهواء فأحدث صروباً من الأمراض وإذا تعاقب على هذه العلم هذا التعاقب اعتدل الهواء ودفع كل واحد منها عادية الآخر فصدمت الأمور والأشياء واسقامت

(فإن قلب) ولم يكون في شيء منها مصرة السه فدا لمص ذلك الأسان ويؤله بعض الألم فرعوى ويتزع عن المعاصي فكما أن الإنسان إذا سقم يده احتاج إلى لأدوية الكريهة المره الميعة لنوم طبعه وتصلح ما فسد منه كذلك هو إذا طعم وأشر احتاج إلى ما يمه ويؤله بعض الألم يرفعوى ويصير عن بعض مساويه وينته على ما فيه حظه ورشده.

ولو أن ملكاً من الملوك قسم في أهل مملكته فناصر من ذهب وقصه ألم بكر ذلك سيعظم عندهم ويذهب له به نصيب والذكر فأين ذلك من مطر واحد يعم البلاد وقيمه ما يريد في العلات من قاطر الذهب والقصه في أقاليم لأرض كنها أفلا ترى المطره الواحدة ما أكثر قدرها وأعظم لعمه على الناس فيها وهم عنها ساهون وربما عادت أحدهم عن الحاجة لا قدرها فتدمر وتسحط يثارة للحبس قدره على نفعه العظيم.

(فكر في هذا لسات) وما فيه من صروب لمرب الثمار للعداء والأسان للعبف والخطب لنوقود واخشى لكل شيء من أعماق البحرة والبحاء والورق والرهز والأصون والعروع والصموع لصروب من المدفع ففريت لو كما يجد لثمار التي منها تتعدى مجموعة على وجه لأرض ولم يكن يست على هذا السوق ولأعصان الحاممة لها كم كان سيدخل عليها من الخس في معايشها وهل كتب فيه

(١) لقاموس الخثر محرقة العكر

بـ أحدها في الأرض فاسد في كونها على ما هي عنه بين النفع والحقمة وأن
كـ أعداء موحوداً فإن المنافع في الخطب والحشيش والأشجار وسائر ما عدداً عظيم
موقعها حليل فمدها هـ مع ما في لسب من التندد بحسن منظره وبصارتها لي لا
عده شيء من مناظر العدم وملاهبه فسحاح الذي أحسن كل شيء حقيقه

(ثم فكر في هذا الربع) سـي جعل في الأرض حتى صارت الحية بواحدة
تخلف مئة حية وأكثر وأقل وكان يحور أن تكون الحية تأتي بحية مثلها فلم صارت
ربع هذا الربع كله إلا ليكون في العنة منسج لا يرد في الأرض من الحب وبعد
صوب لزرع وعيمره بـ يدرت زرعه ألا ترى أن الملك لو أراد عمارة بلد من
سندان كـ أسيل في ديت أن يعطي أهله ما سدرويه في أرضهم وما يقوتهم إلى
دراك زرعهم فبظـ كيف نجد هـ أمثال قد تقدم في تدبير الحكيم فصار لزرع
يربع هذا ربع بهي بما يحتاج إليه للنفوس وبرداعة وكذا أشجار وسجل يربع
ربع أكثر فإنت ترى الأصل لو حدد حوله من الشكل أمر عظيم فلم كان ديت
لا يكون فيه ما يقطعه الناس ويستعملونه في مزارعهم وما يرد فيعرس في الأرض
ولو كان الأصل منه سقى مفرداً لا يفرح ولا يربع لما أمكن أن يقطع منه شيء
عمل ولا يعرس ثم كان أن أصابته آفة انقطع أصله فلم يكن منه حلف

(تأمل سات هذه الخبوت) من لعدس والحب ولدحر والحر حر وما أشبه ذلك
فإنها يحرح في أوعية شبه الخرائط لتصوبها وتحجبها من الآفات إلى أن تشتت
وتستحكم كما قد تكون المنفعة على الحين هـ المعنى بعينه

فأم الرد وما أشبهه فيه يحرح مدرجاً في فثور صلاب على رؤوسها أمثال
أسنة من السعد ليجمع لطير منه فإن قلت أوليس قد ينال الطير منه على حل من
الر والخبوت فله بـي لعمرى وعلى هـ فتر الأمر فيها لأن الطير أبصاً خلق من
حق الله تعالى وقد جعل الله له فيما يحرح من الأرض خطأ ولكن حصت الخبوت
هـه الحب لكلاً لتمكن الطائر منها كل لتمكن فبعث فيها ويهدد لفساد
لما حش فيه لو كـ حب بصاب والحب يزرر ليس عليه شيء يحور دونه لأكب

عليه حتى يشتمه أصلاً فكان معرض من ذلك أن شتم الطير فموت وبجرح الرارح
من دراعته صغراً فجعلت هذه الوقفيات لصبوه فقال الطير مه شيئاً يسيراً
وبتقوت به ويسمى أكثره للاسار لأنه أوز به إذا كان هو الذي طرح فيه وسفه
وكان الذي يحتج إليه أكثر مما يحج إليه الطائر

تأمل الحكمة في خلق الشجر وأصناف نبات فيه لو كانت محتاج إلى
العداء بد ثم كحاجة الحيوان ولم تكن لها أهواء كأهواء الحيوان ولا حركة سعت به
لشاول العداء جعلت أصولها مركورة في الأرض لسرع من العداء فتؤديه إلى
الأعصان وما عليها من الورق والثمر فصارت الأرض كدأ مربيه لها وصارت
أصولها لني هي كالأهواء المستقيمة للأرض لتخرج من العداء كي ترصع أصناف
الحيوان من أمهاتها ألم ترى عمدة القسطنطين والحتم كيف عمد بالاصاب من كل
جانب ليست منتصبة فلا تسقط ولا تنحس فهكذا نجد نبات كنه له عروق متشعبة في
الأرض وعمدة إلى كل جانب تلمسكه وتقيمها ولولا ذلك كيف كان شت هذه
لحل الطوال والدوح العظام في الريح العاصف

ونظر إلى حكمة الخفة كيف سفت حكمه الصاعدة فصارت حكمه التي
تستعملها الصاعدة في ثبات القساطيط والحتم متأخرة لأن خلق الشجر من صاعدة
القساطيط والحتم^(١) ألا ترى أن عمودها ودعائمه وعيدها من الشجر فيحق من
قل لأولون (الصاعدة تحكي لطبيعة)

تأمل خلق الورق فإنك ترى في الورقة شبه العروق متوثة فيها أجمع فمنها
علاط نمته في طوله وعرضه ومنها دفاق تحبس تلك العلاط مسوحة بسحر دقيقاً
معجباً لو كان قد يصنع بالأندى كصنعه لشرد فرع من ورق شجره في عام كامل
ولا احتيج فيه إلى آلات وحركة وعلاج وكبح فصار نأى منه في أيام فلائل من

(١) تعبارة في كتاب الحكمه في مخلوقات الله للعرابي هكذا فاعلم إلى حكمه الخلق كيف سفت حكمه
الصاعدة والندى الناس في أعمالهم بحكمة الله في مصنوعاته وهو في أو حبر وصل

الربيع ما يملأ الخيال والسهور ويقطع الأرض كلها بلا حركة ولا كلام إلا الإرادة
لنائدة في كل شيء وأعرف مع ذلك العلة في تلك العروق فإنها جعلت لتحلل
لورقة بأسرها لتسقيها وتوصل إليها المدة بمرلة لعروق المثوثة في سدن لتوصل
لعداء إلى كل جزء منه وفي العلاط أيضاً معنى آخر فإنها تمسك الورقة بصلاتها
ومناسبتها لكيلا تنهك وتمرق فترى الورقة شبيهة بورقة معموله باصبعه من حرق
قد جعلت فيها عيدان ممدودة في صولها وعرضها تتماسك فلا تصطرب والطبيعة
وإن كانت تمثل بالصناعة فإن لصناعة هي التي تشبه الطبيعة .

(فكر في هذه العجم والنوى) واعدة فيه فإنه جعل في حوف الثمرة ليقوم
مهام العراس إن قدم دون العرس عائق كما قد يحرق الشيء النقيس الذي تعظم
الحاجة إليه في موضع شئ فإن حدث على أي في بعض المواضع منه حدث وحد
في آخر ثم هو بعد يمسك بصلاته رجاوة الثمار ورقها ولولا ذلك لتشدحت
وتفسحت وأسرع إليها الفساد وفي بعضه حب يؤكل ويتسرح دمه فيستعمل في
صروب من المصالح

و قد تبنى لك موضع الأرب من لعجم والنوى ففكر الآن في هذه الذي
بحرق فوقه من المأكول الذي يحده فوق الهواء من لوط وفوق لعجم من نعمة م
علة فيه وما يحرق هذه علة^(١) وقد كان يمكن أن يكون مكان ذلك ما ليس فيه
مأكول كمثله ما يكون في السرو واللب والطرخا وما أشبه ذلك فلم صار يحرق
وفوقه هذه المطاعم البديدة إلا ليستمتع بها الإنسان ويأكل منها بعض الأنعام
و لهوام .

(فكر في صرب من التدبر في الشجر) فإنك تراه يموت في كل سنة مودة
تحتس الحرارة لطبعة في عوره وتتولد مواد الثمار ثم تحا وتنشر فتأتيك هذه
لهو كه نوعاً بعد نوع كما تقدم إليك أنواع الأخصصة التي تعالج بالأيدي واحداً بعد

(١) هكذا ولعل الصواب هذه غيبته كما يسادر من العبرة في كتاب الحكمة لعربي

واحد يرى الأعصاب في الشجر بلقاء النمر حتى كأنه يدركها عن يد وترى
الرياح تنفث في أذانها كأنها تحبب بأفئسها فلمن هذا التهدير إلا لقدر حكيم
وما العلة فيه إلا تفكيكه الأسنن هذه الأنواع أفلا تعجب من أناس جعلوا مكان
الشكر على العمة جحود المعهم ؟

(فكر في خلق الرمانة) وما ترى فيها من أثر العمد ولديك فيث ترى فيها
كأمثال لتلال من شحم مركوم من بواحيها وحب مرصوف رصفاً كبحو ما يصد
بالأيدي وترى الحب مفسوماً أقساماً كل قسم منها مفسوم بصفيف من حب
مسوحة أعحب سبيح وألصفه وقشره يضم ذلك كله فمن تتدبر في هذه لصيغة
أنه لم يجر أن يكون حبش الرمانة من الحب وحده وذلك أن الحب لا يمد بعصه بعصاً
فجعل ذلك الشحم حلال حب ليمده بالعداء ألا ترى أن أصول الحب مركوبة في
دبش الشحم ثم لف الحب في تلك اللصيف ليضمه ويمسكه فلا يصطرب وعش
فوق ذلك بالقشره استحصفة لصوره وتحفظه من الأوت فهد قليل من كثير من
وصف الرمانة وفيه أكثر من هذا لمن أراد الأطيب والتسرع في الكلام ولكن في هذا
الذي ذكرنا منه كفاية في الدلالة والعبرة

(فكر في حمل اليمصين) الصعيف مثل هذه الثمار ثقان كليل وبعناء
والحرر وما في ذلك من التدبير فإنه لما قدر أن تحمل مثل هذه الثمار جعل ساقه
مسطحاً على الأرض ولو كان مسطراً قائماً كما يتصب بررع والشجر ما استطاع أن
يحمل مثل هذه الثمر الثقيلة ولتقصفت من إدراكها وانتهتها إلى عاياتها فأسطر
كيف صار يمتد على وجه الأرض لينقي عليها ثمره فتحملها عنه فتري لأصل من
الفرع واسطيح مفرشاً على الأرض وثماره متوثة حوله كأنها هره متمددة قد
اكتنفها آخرها ترصع بها وطر كيف صارت هذه الأصناف توالي في اسوفت
المشاكل لها من حمارة بصيف ووفده آخر فنقدها لصيغة بالشرح وشوق إليها ولو
كانت توالي في الشتاء لوافقت من الناس كراهة لها وشعراً منها مع ما يكون منها
من مصرة للأبدان ألا ترى أنه ربما أدرك شيء من الفناء في اشتاء فامتنع أناس
من أكله إلا الحشع الذي لا يمتنع من أكل ما يصره ويستوحم معته

(فكر في حلة محدها في السحل) فإنه لما صدر منها إناث تحتاج إلى التلقيح جعلت فيها دكور تلقح فصار الذكر من السحل بمزلة الذكر من الحيوان الذي تلقح الأمث لتحمل وهو لا يحمل

تأمل حلقة الخدع حيث تراه مسوجاً سجاً من حيوط ممدوده كالسدي وأخرى معترصة كاللحمة كسج ما يسج بالأيدي وذلك لبشتد ويصلب ولا ينقص من حمل القنوان الثقيلة وهبوب الرياح العواصف إذا كان بحلة وليتها لسموف والحسور وغير ذلك مما يتحد منه إذا كان جاداً فكذلك ترى في الخشب منه شبه النسيج فإنك ترى بعضها متداخلاً بعضها طويلاً وعرضاً^(١) كتداخل أجزاء اللحم وفيه مع ذلك متانة يصلح لما يتحد منه من الآلات فإنه لو كان مستحصفاً كالبحارة لم يكن أن يستعمل في السقوف وغير ذلك مما يستعمل فيه الخشب كالأبواب والأسرة والتوابيت وما أشبه ذلك.

ومن حسيم المصالح في الخشب أنه يطفو على الماء فكل أسس يعرف هذا وليس كلهم يعرف خلالة والجمع فيه فلولاً هذه الحلة كيف كانت هذه لسفن والأطواف تحمل أمثال الجبال من الحمولة وإن كان يبال الناس هذا المرفق وحملة المؤنة في حمل التجارات من بلد إلى بلد كانت ستعظم المؤنة عليهم في حملها حتى تلقي كثيراً منها في بعض البلدان معقوداً أصلاً أو عسيراً وحوده.

(فكر في هذه العقاقير) وما خص به كل واحد منها من العمل في بعض الأدواء فهذا يعور في المفاصل فيستحرج العصور الغليظة مثل الشيطرح وهذا يورف المرة السوداء مثل الأفيتمون وهذا ينفي الريح مثل السكبيج وهذا يحلل الأورام مثل الرزياح وأشياء هذا من أفعالهم. فمن حمل هذه القوى فيها الأمن حلقها للمففعة ومن فطن الناس ها إلا من جعل هذا فيها ومتى كان يوقع على هذا منها بالعرض والاتفاق كما قال قائلون وهب الإنسان فطنة لهذه الأشياء بذهنه

(١) هكذا ولعل الصواب بعضها متداخلاً طويلاً وبعضها عرضاً

ولصيف رويته فالهائم كيف قطت لها حتى صار بعض الهائم تتداوى من حراحه
أن أصابته بعض العقاقير فتراً وبعض الطير يحنقر من الحصر يصيبه بماء البحر
فيسلم وأنشأه ذلك مما يذكر في كتب الطب والطبيعه

ولعلك تشك في هذا الباب الذهب في الصحاري حيث لا أس ولا آيس
تظن أنه فضل لا حاجة إليه وليس كذلك بل هو طعام لهذه الوحوش وحبّة علف
الطير وموقه وأفانته حطب يستعمله الناس وفيه بعد أشياء يعالج بها الأنداد
وأخرى يدينغ بها الخلود وأخرى يصنع بها لامتعة وأشياء هذا من المصالح الست
تعلم أن من أحسن السات وأحقه هذا البردي والخلفا وأشباهه وفيه مع هذا
ضروب من المنافع فقد يتخذ منه القرطاس الذي يحتاج إليه الملوك والسوقة والحصر
التي يستعملها كل صنف من الناس ويعمل منها الغلف التي توقي بها الأولي يجعل
حشواً بين الظروف في الأسفار كيلا يعيب ولا يتكر وأشياء هذا من المذكر في
صعير الخلق وكبيره وذوي القيمة منه وما لا قيمة له وأحسن من هذا وأحضر الربل
والعدرة التي اجتمعت فيها الحساسة والنجاسة معاً وموقعها من القول والزروع
وجميع الحصر الموضع الذي لا يعدله شيء حتى أن كل شيء من الحصر لا يصح ولا
يزكو إلا بالزبل والسماذ الذي يستفد منه الناس ويكرهون الدنو منه أنه ليست مزلة
الشيء في العلم على حسب قيمته في السوق بل هما قيمتان مختلفتان لسوقين مختلفين
وربما كان الخسيس في سوق الكسب نفيساً في سوق العلم فلا تستصغر العبرة في
الشيء لصغر قيمته .

فكر في بنية أمدان الحيوان وتهيتها على ما هي عليه فلا هي صلاب
كالبحارة إذا كانت لا تثنى ولا تنصرف في الأعمال ولا هي على عاية اللين
والرحاوة إذا كانت لا تتحامل ولا تستمل فجعلت من لحم رحوبشني تتداخله
عظام صلاب تمسكه وعصب وعروق تشده وينظم بعصه إلى بعض ثم غلفت فوق
ذلك بجلد يشتمل على البدن كله .

ومن أشباه ذلك هذه التماثيل التي تعمل من العيدن ويلف عليها الخرق
وتشد بالخيط ويطي فوق ذلك بالصمغ فتكون العيدن بمنزلة العظام والخرق

عملة لحم و لحیوط عمره العصب والعروق والظلی عملة خلد فیر حورت أن
یکون حیوان المتحرك حدث لإهمال أو من غیر صانع فحوار ذلك أولى فی
هذه المماثل لمیة ویر أعانك هذا فی المماثل ففی حیوان أخرى أن یتعذر
علیک .

وفکر بعد فی أحسام الأدم فیر حیر خلقت کما خلقت الدن لأس من
الحجم والعظم والعصب أعطیت أيضاً السمع والبصر یبلغ الإنسان حاجته فإیر
لو کانت عیب صماً یا أمتع بها الإنسان ولا تصرفت فی شیء من مآربه ثم صنعت
الدهن و العقل لتدل للإنسان فلا تمسح عینه إذا کدهم الکد الشدید وحمها الثقیل
ولعدک تقول أنه قد یکون للإنسان عیب من الأس یدلون ویدعون بالکد شدید
وهم مع ذلک عبر عذیمی العقل والدهن فقول فی حوار ذلک أن هذا لصف فی
الناس فبما أكثر الناس فلا یدعون بما یدعون به الدواب من حمل و لخص
وما أشبه ذلک ولا یفهم مما یحتاج إلیه منه ثم لو کان الناس یراولون مثل هذا العمل
بأندامهم لشعلوا بذلک عن سائر الأعمال لأنه یحتاج مکان حمل الواحد والعمل
لواحد إلى عدة أناس فکان هذا العمل سستفرغ الناس حتی لا یکون فیهم عنه
فصل شیء من الصاعات و نهر إلى ما کان سببهم من التعب انقادح فی أندامهم
والصیق والسکد فی معایشهم

فکر فی حلقة هذه الأصناف الثلاثة من الحیوان وتهيئتها علی ما فیه صلاح
کل واحد فالأس لما قدر أن یکون دوی دهن و فطه وعلاح لمثل هذه الصاعات
من الساء والبحارة والحیكة وحررة وما أشبه ذلک خلقت هم أكف کاردوت
أصابع علاط تتمکر من انقص عن الأشياء ومراولة هذه الصاعات واکلات
الحجم لما قدر أن یکون معایشهم من لصید خلقت هم أكف لطاف مدحجة دوت
براش ومحب تصلح لأحد الصيد ولا تصلح للصاعات واکلات لسات لما قدر
أن نکون لادت صعة ولا دات صید خلقت لبعضها أطراف تعیها حشوة
الأرض إذا حلت فی ظلم المرعى ولعصها حوافر مدلمه دوت قعر كأحص
لقدیم لیطبق علی الأرض ویتها للركوب والحموة

تأمل التدبير في خلقه اكلات اللحم من الحيوان حين جعلت دوات أسن
حداد وبراش شداد وأقواه وسعة فإيه لما قُدِّر أن يكون طعامها اللحم خلقت حلقة
تشاكل ذلك وأُعيت سلاح وأدوات نصيح لئلا تصيد فكذلك نحد سباع الطير دوات
مدقور ومحلب مهيأة لفعلها لو كانت الوحوش دوات مخالب كانت قد أعطيت ما لا
تحتاج إليه لأنها لا تصيد ولا تأكل اللحم ولو كانت الصباع دوات أظلاف كانت قد
صنعت ما تحتاج إليه أعني السلاح الذي به تصيد وتتغيش. أفلا ترى كيف أعطي
كل واحد من الصغار ما يشاكل صنعته وطبيعته بل ما فيه بقوؤه وصلاحه أنظر إلى
أولاد دوات الأربع كيف تتع أمهاتها مستفيدة بأنفسها لا تحتاج إلى حمل والتمسك
كما تحتاج أولاد الأسر فمن أحل أنه ليس عند أمهاتها ما عند أمهات بشر من
الترفق والعنم والتربية والقوة عليها بالأكل والأصابع المهيأة لذلك أعطيت
البهوض والاستقلال بنفسها وكذلك ترى فرح كثير من الطير كمثل الدراج
والدحاح والفتح يدرج وينمط حين يقاتل بها البيض (١) فأم ما كان منها ضعيفاً
لا بهوض به كممثل فراح خمام واهم وخمر فجعل في الأمهات فصل عصف
فصار تمنح الطعام في فيه بعدم توعنه حواصلها ساعة يلبس ويسهل قول الفرح ولا
ترال بعده حتى يهضر ويستقل بنفسه وكل أعطي بقسطه من التدبير الحكيم
أنظر إلى قوائم الحيوان كيف تأتي أرواحاً ليتها للمشي ولو كانت أفراداً لم يصلح
بذلك لأن المشي ينقل بعض قوائمه ويعتمد على بعض قدر القائمتين ينقل واحد
ويعتمد على واحد ودو الأربع ينقل اثنين ويعتمد على اثنين من خلاف لأن ذو
الأربع لو كان ينقل قائمتين من أحد حسيه ويعتمد على قائمتين من الجانب الآخر
لم يثبت على الأرض كما لا يثبت السرير وما أشبهه على قائمتين من أحد جانبيه على
أنه يسر في السرير روح والروح حمل الحيوان فصار ينقل المشي من مقاديره مع
اليسرى الأخرى من ما حيره ويقر لأحيرتين أيضاً من خلال فيثبت على الأرض ولا
يسقط إذا مشى

(١) في القاموس انبت استخرج الملح هـ مصحح

أما ترى كيف يدل بالحسنة والضحى وهو يرى المرس مودعا معها والعبير
الذي لا يطمئه عدة رجان لو ستعصي كيف يقاد بلصبي والثور الشديد يدعن
لصاحبه حتى يصع لبر على عنقه فيحترث لأرض به وامرس الكريم يركب
بالسوف والأسنة بالهوانة لفارسه وكيف يتصرف في لكر وهر وسأي والعد ورد
صوح عنه وأفحمه على السيوف لعشيها^(١) ولقطيع من الغنم يرعاه رجان واحد
ولو تعرفت الغنم فأحدث كل واحدة منها في ناحية لم يلحقها وكذلك جميع
الأصاف مسخرة للإنسان فمن كتب ذلك إلا أنها عدت العمل والروية فيها لو
كانت تروى في الأمور كانت حلقة أن تلنوي على الإنسان في كثير من مآربه حتى
تمتع الحمل على قائده والثور على صاحبه ونعم على رعيها وأشبه هذا من الأمور
وكذلك هذه لساع لو كانت دوات عقل وروية فتواردت على الدرس كانت حقيقة
أن تحتاحهم فمن كتب يقوم بالأسد وندبات والتمور والصناع وبدسة والهوم
والحيات لو تعاوت وتظاهرت على الناس.

ألا ترى كيف حذر ذلك عهد فصارت مكان ما كان يخاف من إقدامها
ونكايها بهاب مساكن الناس وتحمم عهد ثم لا يظهر ولا تنتشر في طلب قوتها إلا
بالليل فهي مع عداوتها وصوتها كاخائه للأسد بل هي مجموعة بمجموعة منهم ولولا
ذلك لساورتهم في مساكنهم وصيفت عليهم مسالكهم

أما ترى الكلب وهو كعص لساع بعدية كيف يتوقف على حيطان
والسطوح في ظلمة الليل لحراسة منزل صاحبه ودب المدعى عنه وبلغ من محبته
لصاحبه أن يدل نفسه لموت دون ماشيته وماله وألقه غابة الألف حتى يصبر معه
على جوع والعطش فلم طبع الكلب على هذا الألف والمحبه للإنسان إلا ليكون
حارساً للإنسان حافظ ماله في أرقط عقلته ثم أنه حين جعل حارساً للإنسان
أعز الناس ومحال وساح هائل ليدع منه لسارق ولربيب ويتحب المواضع التي
تحميها كلاب وبه شجاعة لا تشبه رصير لا بجونه وسعي يلحق به الصبياء وشم

(١) هكذا يقرأه ويظهر أن هذا مصنف كمنه وكلمتين وإن كان المعنى مفهوماً هذا مصححه

يسروح به نفس لطر و لأرابت والثعلب في مكها وعبر ذلك ثم أنظر له صار
 طهر الدابة مسطوحاً مطوحاً على قوائم أربع ألا لتنهأ ليركوب وأحمولة ولم صار
 حياها بارزاً من ورائها إلا ليتمكن الفحل من صر بها فيه لو كان من أسفل النظر
 كما كان الفرح من مرأة لم يتمكن الفحل منها إلا ترى أنه لا يستطيع أن يأتها
 كفاً كما يأتي الرجل المرأة وقد ذكر أرسططليس في كتاب حيوان أن حماراً لأشئ
 من الفيلة في أسفل بطنها فإن كان وقت الصراب ارتفع وبرز لفحل حتى يتمكن
 من صرابها .

فانصر كيف جاء الحية في لأشئ من الفيلة على خلاف ما هي عليه في غيرها
 من الأفاعي ثم جعلت فيه هذه الخلة لينتهي للأمر يدي به قوام ليس

أنظر إلى هذه الهائم كيف كسيت أجسامها هذه بكسوة من الشعر والوبر
 يفيها من البرد وكثير من الآفات وأسس فوائدها لأصلاف والحوافر بطنها من
 لحفا فإنها لما كانت بها لا أدهن ها ولا أكف ولا أصابع مهيأة للفرل ولسح
 كهبت ذلك بأن جعلت كسوتها في حقيقتها رقية عليها ما بقيت لا محتاح إلى تحديقها
 ولا اسند ها وإنما الاساب فهو ذو حيلة وكف مهيأة للعمل فهو يعزل ويسح
 ويتحد لنفسه الكسوة ويسند بها حالاً بعد حال وله في ذلك صلاح من جهات
 (منها) أنه يشتعل بصعة لئلا يس من لعث وما تحرجه إليه الكفاية (ومنها) أنه
 يستريح إلى خلع كسوته إذا شاء ويسسها إذا شاء (ومنها) أنه يتحد بنفسه صروراً
 من الكسوة حال وروعة فيلدد لئلا يسها وتديدها (ومنها) أنه يتدد ناره بالبري
 وتارة يسعم باللدس وكذلك يتحد بالترق والصعة صروراً من خدق وسعد
 بقي بها قدميه فصار شعر والوبر يقوم للهائم مقام الكسوة وأصلافها وأخوهر
 مقام الحذاء .

(فكر في حيلة عحية) جعلت في الهائم الوحشية فإنها توارى أنفسها كما
 توارى ناس موتاهم وإلا فأين حيف هذه الوحوش والسباع وغير ذلك لا يرى
 منها شيء وليست شيئاً قليلاً فتحمي لقلتها بل لو فل فائل أنها أكثر من حيف
 الاس لصدق وعثر ذلك في هذه الصحاري من أصرب لئلا يسها

والحمر والوعول والأبيل وغير ذلك من الوحوش وأصناف أسباع من الأسد والصناع وندثب والسمور وغيرها وصرور الهوم من الحشرات ودواب الأرض وكذلك أسراب الطير من العربان والقطا والأور والكراكي والحمام وسباع الطير أجمع فأين هذه كلها لا ترى منها شيئاً ميتاً إلا الواحد بعد الواحد يصيده قاصص أو بقتلته ساع فما يدل عليه القياس أنها إذا أحست بانوت تكمن في مواضع خفية وتموت فيها فلولا ذلك لامتلات الصحاري منها حتى تصد رائحة لواء وتحدث الأمراض والوباء فطر إلى هذه ندى تخلص الناس إليه بالفكر والروية كيف جعل طبعاً في لهائم بسلم للناس من معنة ذلك وأما ما جعل بين الناس عيشه من الأنعام والطير والهوم فلمدة الناس على نقله والتدبير في دفع أديته فقد نزع منه ما حسن في الوحوش وهو دليل على أن العالم ليس بإهمال

تأمل وجه الدابة كيف هو فإنك ترى العينين شاحصتين أمامها لسطر ما بين يديها فلا يصدم حائطاً ولا تردى في حفرة ويحرس نفسها ودرسها وترى الفم مشقوق شقاً في أسفل الحنك لتمكن من العضم على علف فيه لو كان قوفاً في مقدم الحنك كما كان الفم من الأسان في مقدم الدقن لا استطاعت أن تساول شيئاً من الأرض ألا ترى أن الأسان لا تساول الطعام منه ولكن بيده فلم لم يكن للدابة يد تساول به العلف جعل حنكها مشقوقاً من أسفله لتضعه في العلف ثم تقضمه من مقصمه وأعنت بالحفصة لتقدم بها ما قرب منها وما بعد فلا يفوتها شيء من طعام وإن شكك في الدب ولمعه فيه فقلع بملح عجم أن لدب أداة أسان منها أنه عملة الطوق على يدب والحيا جميع بواربها ليستريح ومنها أن ما بين الدبر ومرتق البطن من الدابة وصريراً بدا تجمع عليه الدباب والعوض والفردان والخلل من جعل لها الدب كالدابة تدب بها على ذلك الموضع ومنها أن الدابة تستريح إلى تحريكه وتصريفه بيمينه ويسره فإياه ما كان فرامها على الأربع بأسرها وشعنت لمقدمتين يحمل الدب على التصريف والتقلب والتفتت كدبها في تحريك الدب مسره وراحه وعسى أن يكون فيه أسباب أخرى بقصر عنهم بؤهم ويردري ما لسمع إذ سمعها لأنه لا يعرف موقعها إلا في وقت الحاجة إليها فمن ذلك أن

الدابة ترنظم في الوحل فلا يكون شيء أعون على هوصها من لأحد ندبها

أنصر إلى مشعر الميل وما فيه من نصف التدبير فإنه صار يقوم له مقام اليد في تناول لعنف والماء وإيراده إلى حوفه ولولا ذلك لما استطاع أن يتناول شيئاً من الأرض لأنه ليست له عنق يدها كسائر الأنعام فلما عدم العنق أحلف عليه مكان العنق ذلك الخراطوم الطويل لسدله فيتناول به حاجته وجعل أخوف لأنه وعاء لما يحمل إلى صدره من طعامه وشرابه وأيضاً فهو سلاحه وبه يعطي ويتناول ويقابض ويصول فمن الذي عوصه مكان العنق الذي عدمه ما يقوم له مقامه إلا برؤوف بحلقه كيف يأتي مثل هذا بالاهمال كما قال الطيعة

فإن قست ما به لم يخلق د عنق كسائر الأنعام أحب مسمع عنق فهدأ رأس الغير وأدبه وبابه أمر عظيم وثقل ثقل فلو كان ذلك على عنق لهدأ وأوهبها فجعل رأسه منصقاً لكيلاً يسهل ما وصفاً وحلق له مكان هذا المشعر ليتناول به عدائه فصار مع عدمه لعنق مستوف ما فيه بدوع حاجته وليكون اختلاف الخلق أدب على لقدرة والتدبير فسور لعنف عشقه وحر بعفه وحر بيده وحر بمقداره ويكون لعنق معصاً^(١) كالصولج إلى روره^(٢) وحر معقفاً إلى حسه وحر عريضاً وحر كالطرددين وحر كالبحب وذلك على مقدار ما يصلح معاشهم في لقط أو صيد وعم ذلك ومن الحيوان من يمتني عن بطنه ومنهم من يمتني على رجليه ومنهم من يمتني على أربع فتدأراً من رب العدن على خلق ما يريد كيف يريد وهو على كل شيء قدير

(فكر في خلق الراهقة) واختلاف أعصائها وشبهها بأعصاء أصداف من الحيوان فرأسها وحلدها حديد عمر وعنفها عنق حمل وأطرافها أطراف بحر حتى أن ناساً رعموا أن يتاحها من فحور شتى وسب ذلك أن أصداف من حيوان البر فيما ذكروا إذا وردت على بعض ماء ترو على بعض سائمه فتفتح مثل الشخص الذي

(١) في لقاموس عصفه عظمه

(٢) روره وسط صدره وما يرفع منه إلى الكتفين أو يمتني عظام صدره حيث اجتمعت هـ مصححه

هو ثيلفظ من أضاف شئ وهذا لما لا يصح في القياس لأنه ليس كل صنف من الحيوان يلفح كل صنف فلا يفرس تلفح الحمل ولا الحمل يلفح الفرس وإف يكون هذا من بعض الحيوان فيما يشابهه ويقرب من حلقه كما يلفح الفرس الحمار فيخرج من سبي العمل ويلفح الدب الصنع فيخرج من بينهما اسمع^(١) على أنه ليس يكون في أي يخرج من بينهما عصو من كل واحد منهما كما يكون في الفرس عصو من الفرس وعصو من الحمل بل يكون كالتوسط بينهما المقترح منهما كالذي براه في العمل فإني يرى رأسه وأذنيه وكفله وحوافر وسطاً بين هذه الأجزاء من الفرس والحمار حتى شحجه^(٢) أيضاً كالمخرج من صهيل الفرس وسبق الحمار فهذا دليل على أنه ليست اسرقة من لفتح أضاف شئ من الحيوان كما رعم براعمون بل هي خلق عجب من خلق الله لدة على قدرته التي لا يعجزه شيء وليعلم أنه خلق أضاف الحيوان كلها بجميع ما شاء منها في لأعضاء في أي شاء وبصرف بين ما شاء منها في أي شاء فأما طور عقبة فالمفصه لها في ذلك فلا مشاهد ومرعاها كما يذكر أهل الخبرة بها عياطل دوت الأشجار شاهدة داهية طويلاً فهي تمحج إلى طور العنق لتناول تلك الأشجار فتقوت من ثمارها

(بأسل حنقه الفرد) وشبهه بالأسنان في كثير من أعضائه أعني به الرأس والوجه و الصدر والمكبس وكذلك أحشؤه نصاً شبيهة بأحشاء الأسان كالذي نصف رسططائيس في كتاب الحيوان وشهد به كتب طب من ذلك ثم ما حص به من لدهن والقطه التي بها فهم عن سائسه ما يرد منه ويقبل التديب ويعرف ما يومي إياه ويحكي كثيراً ما يرى الأسان يفعل حتى أنه يفر من خلق الأسان في ضمائله فمن التديب في حنقه على ما هو عليه أن يكون عمره للأسان فيعلم أنه من طيبه استهائم وسحبها إذ كان يقرب من حلقها هذا القرب فلا يطعم ولا يتمرد على حلقه فإنه لولا فصيلة فصله لله بها في بدهن والعقل كان كعص الهائم إلا

(١) اسمع بكسر ولف الدب من الصنع وموس

(٢) في لعموس شحج العمل والعراب صوته كشحاجة بالضم اه مصححه

أن في جسم لهرق فصولاً أخرى تفرق بينه وبين الإنسان كالحصم والناشر والذئب
المسل والشعر المحلل للحسم كله لكن هذا لم يكن بادع لفرق أن يلحق بالإنسان
لو أعطى مثل دهر الإنسان وعقله فالفاصل بينه وبين الإنسان بالصحة هي
النقص في الدهر

(وهل سمعت ما يتحدث به عن النيران) والسحاب فيه يقال أن السحاب
كالموكل به يختطفه حيث ما يقفه كما تحطف حجر المعاطيس الحديد حتى صار لا
يطلع رأسه من بطن الأرض^(١) خوفاً من السحاب ولا يخرج في الفرج إلا مرة إذا
أصحت السماء فلم يكن فيها نكبة من عيم عدم وكل السحاب بالنيران يرصده
ويخطفه إذا وحده إلا ليدفع عن لسان صرعه فإن قلت ولم حق النيران أصلاً قد
للتحويف والترهيب ولشكال في موضع ذلك فهو كاسوط العلو يخوف به أهل
الرب أحياناً للتأديب والموعظة

(فكر في صروب من الفص) جعلت في الهائم لمصدها منطع والخلفة لا
عقل وروية فقد يقال أن الأبل تأكل أحيات ويعطش عطشاً شديداً ويمسح من
شرب الماء خوفاً من أن يذب في جسمه فيقتله وأنه يقف على العدير وهو مجهود
عطشاً فيعج عجباً عالياً ولا يشرب منه حتى يعلم أن السم قد تفرق وأن الذي
أكل قد انهزم وحيث يشرب

فاظر إلى ما جعل في طماع هذه الهيمة من الضر على لصماً العالب خوفاً
من المصرة في الشرب وذلك مما لا يكاد الإنسان يفعل أن يصطه من نفسه

ومن الحديث المستفيض أن الثعلب إذا أعور الطعم غاوت ويصيح بصره حتى
يحسه الطير ميتاً فإذا وقعت عليه لتنهشه وثب عليها فأحده فمن أعان الثعلب
العدم العقل والبطق والروية هذه الحيلة إلا من كان نوحه بتوجيه الرق به من

(١) هذا يحفظ دهر من بطن الأرض من بطن الماء فهو ملازم لهرق البحر دائماً خوفاً من
السحاب يح وفي حلة الخواص ليس صروب من خياب كأكبر ما يكون منها وهو أيضاً نوع من
سمك هو مصححه

هذا وشبهه فإنه إذا كان اللعب يصعب عن كثير مما يقوي عليه سماع من مساورة
 بصيد أعين بالدهن وانعطيه والاحسان لمعاشه ويتحدث عن الدهن أنه يلتمس
 صد لظفر فتكون حيله في ذلك أن يأخذ السمك فيقننه ويشدحه حتى يظهر على
 الماء ثم يكمن تحته ويترك الماء الذي حوله حتى يسبح شخصه فإذا وقعت نظر على
 السمك طأ في رثب عليها فاصودها فاطر إلى هذه حيله اللطيفة كيف جعلت
 صعد في هذه لهيمة لبعض المصلحه وسمع ما يحدث به عن النمساخ من أنه
 يجمع فباب اللحم لذي يكله في بصاعيف أسسه وسود يسأدى فيخرج إلى
 الساحل فيفتح فيه كالميت فيحسسه صغير مياً فيسقط على فيه فيلتقط الدود فإذا علم
 أن به قد طاف لظفر فيه على الطير فسدعه فها هو (كافيك مكافأة النمساخ)

(تأمل السرة حفرة) هل تجد فيها بعض عما فيه صلاحها في طقتها فمن أس
 هذا التقدير والصواب في حين مدركه إلا من السدر العائم في صغير الخلق وكثيره
 وترى الدر ينتقي في طريقه فيتوقف الدرك كما يسلم لرحل على صاحبه إذا لقيه
 ويسأله عن حاله وحره

(أنظر إلى لعل) واحتشاده في جمع العوت و عدد له لشتاء لأنها تستر فيه فلا
 تخرج فإن ترى الجماعة منها إذا بقلت أحب إلى بيتها بحرية جماعة من أساس تقبل
 صعداً أو غيره بل ترى لعل في ذلك من الحذر والتشهير ما ليس للسان مثله وبره
 يتعاون على نقل كم يتعاون الناس على العمل ثم انه يعتمد حب فيقطعه كيلا
 يست فيفسد عليه وإن أصابه سدى أخرجه فيسره حتى يحف ثم لا يسجد الرية إلا
 في شر من الأرض لكيلا ينص عليها السير فعرفها وكل هذا منه بلا عقل ولا
 روية بل بحلقة خلق حتى عليها لمصلحته

(أنظر إلى هذا الذي يقال له ليلث^(١)) ويسمى بالسريديه أسد الدب وما
 أعطى من الحيلة والبر في طلب معاشه فإن تراه حين يحس بالذباب قد وقع

١. ليلث صر من العناكب يصطاد الذباب وهو أصغر من العنكبوت انه حياة الخيون

بالقرب منه تركه مدياً حتى كأنه ميت لا حراك به فإذا رأى الذباب قد اطمأن وعمل عنه دب ديباً رقيقاً حتى يكون بحيث ياله وثبة ثم وثب عليه فأخذه فاشتعل عليه بجسمه كله مخافة أن يثب الذباب فيسجوه منه ونجده أيضاً يتحرى عمر جناحيه وقبضهما بيديه ورجليه ليطل فعلهما فلا يزال قابضاً عليه حتى يحس بأنه قد ضعف واسترحى ثم يقبل عليه فيرشقه ويمحي بذلك منه

(وأما العنكبوت) فإنه يسج ذلك النسخ شركاً لا يقدر على مثله لأدميون ومصيدة للذباب ثم يكمن في جوفه فإذا نشب فيه الدباب أحال عليه يلدغه ساعة بعد ساعة ويمصه ويجعله قوتاً فيعيش بذلك فذلك يحكي صيد الكلاب والبهود وهذا يحكي صيد الأشراك والخبائل فانظر إلى هذه الدويبة الضعيفة كيف جعل في طبعها ما لا يبلغه لسان إلا ناحية واستعمال الآلات فيها. ولا ترى بشيء عندك أن تكون العبرة فيه بالذرة والسملة وما أشبه ذلك فإن المعنى القيس قد يتمثل بالمثل الحقير ولا يقصر به بذلك كما لا يقصر بالدينار وهو من ذهب أن يورن بمثل من الحجر والحديد.

(تأمل جسم الطائر وخلقه) فإنه حين قدّر أن يكون طائراً في الجو خفف جسمه وأدمج خلقه واقتصر به من القوائم لأربع على اثنين ومن الأصابع الخمس على الأربع ومن مفدي الزبل والبول على واحد يجمعها ثم خلق ذا حو محدود بحس^(١) ليسهل عليه أن يخرق الهواء كيفما توجه كما يجعل صدر السفينة بهذه الهبة لنشق الماء وتنفذ فيه وحمل في جناحيه ودسه ريشات منان ليهض به للطيران وكسى جسمه كله الريش ليتداخله الهواء فيقله ولما قدر أن يكون طعمه الحب واللحم يبلعه بلعاً بلا مضغ بقص من خلفه الانسان وخلق له منقار صلباً جاسياً ياول به طعمه فلا يتشجع من لقط الحب ولا يتقص من هش اللحم ولما عدم الانسان وصار يرد الحب صحيحاً واللحم غريصاً أعين بفصل حرارة في الجوف يطحن له

(١) هكذا وفيه تحريف ولعل الصواب ذا حربة محدودة بمعنى ليسهل عليه الح ونه يستقيم المعنى والخبره كمنه استدارة كل شيء كما في القاموس اه مصححة

الطعام طحنا فيستعنى عن التقديم في مصعه واعتبر ذلك بأن عجم العرب وعمره
يخرج من أحواف لأسس صحيحاً ويطحن في أحواف نظير حتى لا يرى له أثر .
ثم جعل أيضاً مما يبيض بيضاً ولا يند ولاده لكبلا شمس عن الطيران فإنه لو
كانت لمراح تنح في حوفه وتمكث فيه حتى ستحكم وتكر لأثقلته وعاقته عن
الهوص والطيران .

أفلا ترى كيف توحد كل شيء من حلفه مشاكلاً للأمر الذي قدر أن يكون
عليه لم صار الطير لمسحر اسباح في هذه الحو يبعد على الطير فيحضه اسوعاً
واسوعين ومن نظر من يهبط الطعام بعد أن ستقر في حوصلته فيعدوه به فراحه
لأي معنى حتمل هذه شبهه وليس سي روية ولا تفكير في عاقبة ولا يؤمل في
فرحه ما يؤمل الأسس في ولده من العز والبر والرفد وبقاء الذكر فهذا من فعله
شاهد بأنه معطوف على فرحه لئلا يعرفها هو ولا يفكر فيها وهي دوام لسل
وبقاءه

(انصر إلى سدحاحة) كيف مهبج لحصن البيض والتفريح وليس لها بيض
مجمع ولا وكر قط بل سعت ذلك نعة فتبع وتقاضي وجمع يديك نفسها وتمتع
من طعام حتى يجمعها البيض وتخصه وتفرح فلم كان ذلك منها إلا لإقامة
الأسس ولا روية لها ولا فكر في عاقبة

(فكر في حلول الصفة) وما فيها الملح لأصغر الخاثر وبها الأبيض الرفيق
فبعصه لسنو به فراح وبعصه ليعتدى به إلى أن تنحب عنه البيضة وما في ذلك
من تدبير فإنه لما كان شوا لمراح في تلك لفرة المستحصصة التي لا مساع لشيء
يُسها جعل معه في حوف أسبصه من العداء ما يكفي به إلى حروحه منها كمن
يحتس في حصن حصن لا يوصل إلى ما فيه فجعل معه من القوت ما يكفي به
إلى حروحه منه

(فكر في حوصه الطائر) وما قدرت له فإن مسلك طعام إلى بقصه صبو
لا يبعد فيه طعام إلا قليلاً قليلاً فهو كان الطائر لا ينتقط حة ثانية حتى تصل

الأولى إلى القاصصة تصل ذلك عليه ثم يمتد إلى يستوفى طعمه ويعد بحسبه اختلاف
لشدة الحذر فحسنت له الخوصلة كالحلقة المعلقة أمامه ليوعى ما أدرك فيها من
طعم بسرعة ثم يعود إلى القاصصة عن مهل وفي الخوصلة أيضاً حصنة أخرى
قرب من نصير ما يحتاج أن يرق فراحه فيكون رده لطعم من قرب أسهل عليه

فإن كان اختلاف الألوان والأشكال في الطير إما يكون من قبل امتزاج
الأحلاط واختلاف مفاديرها باهرج والاهمال فهذا الوشي الذي تراه في
الطواويس وتدرج واندرج على استواء ومدسة كحوم بخط بالأفلام كيف يأتي به
الامتزاج المهمل على شكل واحد لا يختلف

تأمل ريش الطير كيف هو فيث تراه مسوحاً كسح الثوب من سنوت دفاق
قد ألف بعضها إلى بعض كالألف الحيط إلى الحيط والشعرة إلى الشعرة ثم ترى
ذلك السح إذا مدته بفتح فيلاً ولا يشق ليتد حده الريح فيقل الطائر إذا طار
وبرى وسط أريشه عموداً عريضاً متيناً قد سح عليه ذلك كهينة الشعر ليمسكه
بصلابه وهي تنصه في يكون في وسط لريشة وهو مع ذلك أحوف ليحف على
لطاير فلا يعوفه عن الطيران.

هل رأيت هذا الطائر الطويل الساقين وعرفت المنفعة له في طول ساقيه فإنه
يرعى أكثر ذلك في صحصح فراه يركر عن تيبك ساقين كأنه ربة فوق مرفق
فأمل ما يدب في الماء فإذا رأى شيئاً من حاجته خطاً خطاً رفقا حتى يساويه ولو
كان قصير القامتير كان حين يحضو نحو الصيد ليأخذه شق بطنه الماء فتورده
ويدعر منه الصيد فتفرق عنه وحلق له ذلك العمود بدرك هي حاجته ولا يفسد
عليه مصله

تأمل صرماً من التدبر في حبو الطير فيك تجد كل طائر طويل الساقين
طويل العنق ودست ليسان طعمه من لأرض ولو كان طوس الساقين قصير العنق
لما استطاع أن يتناول شيئاً من لأرض وما أعز مع طول العنق بطول صدر
ليرداد مطلب عليه سهولة وله إمكانية فلا ترى أنك لا تعثر شيئاً من خلقه إلا
وحدته على غاية الصواب والحكمة

(أنظر إلى عصافير) كيف تطلب أكلها بالنهار فلا هي تفقده ولا هي تحده مجموعاً معداً بل سألته بأخركة والطب وكذلك تجد الرزق كله فسبحان الذي قدره كيف وفرقه وبعده ولم يجعله مما لا يقدر عليه إذ جعل الخلق الحاجة إليه ولم يجعله مندولاً فينال بهويها إذا كان لا صلاح لخلق في ذلك فإنه لو كان يروح مجموعاً معداً كانت الهائمات تتكعب عليه ولا تقنع عنه حتى تشم فتلهث وكان لباس سيصبرون بالفراع والكفاية إلى عاة الأشر حتى يكثُر الفساد وتظهر الفواحش أعمت ما طعم هذه الأصناف من الطير التي لا تحرج إلا ليلاً كمثمل النور والحفاش والهم فإنه يقال أن معشها في هذا الخوم من العوص والفراش وأشبه الخرادوسعاسيب وغيرها وذلك أن هذه الصوروب مشوثة في الخو لا يخلو منها موضع وعثر ذلك نكتة يد، وصفت السرح بالبين في صبح أو عرصة دار اجتماع عليه من هذه الصوروب شيء كثير فمن أين يأتي ذلك كله إلا من القرب

فإن قيل به يأتي من الصحارى والبراري قيل له كيف يوازي ذلك السرعه من موضع بعيد وكيف يبصر من ذلك البعد سراحاً في دار مخوفة بالندور فيقصد إليه مع أن هذه الصوروب ترى عياناً تنهت عن السراح من قرب فيدرك ذلك على ما مشتهر في كل موضع من الخو وهذه الأصناف من الطير تلتصق بها إذا حركت وتتفوت بها فانظر كيف وجه لورق هذه الطير التي لا تحرج إلا بالليل من هذه الصوروب مشتهر في الخو. وأعرف مع ذلك معنى في خلق الله تعالى هذه الصوروب التي عسى أن يصطاد بها فصل لا معنى لها. خلق الحفاش حلقة عجيبة بين حبه الطير ورواء الأربع بل هي إلى دوت الأربع أقرب منه دو، دين مشربين وأسد ووبر وهو حيض ويحل ويد أولاد ويرضع ويصوب ويمشي إذا مشى على أربع وكل هذا خلاف صفة الطير. وهو أيضاً مما يخرج بالليل ويتفوت كما يسري في الخوم من الفراش وما أشبهه.

وقد قال قائلون لا طعم للفراش وما أشبهه وقال فائزون لا طعم (المحمد من) و بعداءه من السقيم وحده وهذا يكر من وجهين أحدهما خروج ما يخرج من الثقل وسول فإن هذا لا يكون إلا من طعم والأخرى أنه ذو أسد ووبر كان لا

يطعمهم لم يكن للأسنان معنى وليس من الخبثه شيء لا طعمه .

فإما المدرب فيه وموصوفة في كتب الطب حتى ان ربله يدخل في بعض
الاكحاح ومن أعظم الأرب فيه خلقته العجيبه الدالة على قدرة الخلق حل شؤفه
وتصرفها في كل ما شاء لصروب من المصلحة

تحدث رجل صدوق عن هذا نظر الصعير الذي يقال له من مرة هو لدحل
أنه قد كان عشش في بعض الشجرة فطر إلى حية عظيمة قد أقلت نحو عشها
شاحبه وعرة فاها تشلعه فيد هو يتقلب ويضطرب في طلب حية للشاة منها إذ
وجد حسكة فحملها وألفها في عم الحية فم ترن تسوي وتقلب إلى أن ماتت
أمرأت لو لم تحدث هذا حدث أكان يحظر مالك أن يكون من حسكة مثل هذه
المفعه العظيمة وعثر بها في كثير من الأشياء يكون فيها مافع لا تعرف إلا عند
الحادث يحدث والحمر يسمع .

(أنظر إلى السحل) واحتشاده في صبعه لعسل وهيئة البيوت مسدسة على
عمل ما يصلح لصعبه وما يرى في ذلك من دوايق الفطنة التي وصفها المتكلمون
في الطباع فيك إذ تأملت العمل رأيت عجباً لطيفاً وإذ نظرت إلى معمور وحدته
شرباً عظيماً موقعه من الناس وإذا رجعت إلى العامل وحدته عيباً جهاً نفسه
فصلاً عن سوى ذلك فهي هذا أوضح لدلاله على أن الصواب والحكمة في هذه
الصعبه ليس للسحل بل للذي طبعه عديها وسحره فيها بمصلحة الاسن

(أنظر إلى هذا خرد) ما أصعبه وأقوى فعنه فيك إذ تأملت خلقته رأيت
كأصعب الأشياء وإذا رددت عساكره نحو بلده من السدر لم يستطيع أحد أن
يحميها منه إلا ترى منك من ملوك الأرض لو جمع حية ورحله يحمي بلدة من
الخراد لم يقدر على ذلك أفييس ذلك من دلائل على قدرة الخلق به يبعث أصعب
خلقته على أقوى خلقه فلا يستطيع دفعه

ثم أنظر إليه كيف يسب على وجه الأرض من السبل فيعشى السهل
والجبل والسمو واخصر حتى ستر نور الشمس بكثرتة فلو كان هذا مما يصع

ولأيدى كصناعة البشر متى كبت تجمع منه مثل هذه الكثرة وفي كم من سنة كبت
ترتفع وتستدل بذلك على لقدرة التي لا يؤدها شيء ولا يكر عبها

(تأمل خلق السمك) ومشكلته للأمر الذي قدر أن يكون عليه فيه حتى
غير ذي قوسم لأنه لا يحتاج إلى المشي إذ كان مسكه الماء وخلق غير ذي رية لأنه لا
يستطيع أن ينفس وهو معمس في بلحه وجعلت له مكان القويم أحسنه شدة
يصرب بها من حسه كما يصرب النور بالمحاذيف من حربي السفه وكفى جسمه
حدوداً متداخلة كتحايل الدروع واخوش تنقيه من الآفات وأعطى بمصل
حسن في الشم لا يصره ضعف والماء تحفه فصار يسم الطعام من بعد بعيد
فينجعه وإلا فكيف يعلم به ونوصفه وقد ذكر ارسطاطلس أن من به إلى
صماحيه مافد فهو بعد ماء به ويرسه من صماحيه فتروح إلى ذلك كما تروح
عنه من حيوات التي يسم هذه السيم

فكر في كثرة سم السمك وما حص به من ذلك فيك ترى في خوف
لسمكه الوحدة من بيض ما لا يحصى عدده كثرة وأبعده في ذلك أن يسع لك
عدي من أصناف الحيوانات فإن أكثرها تأكل لسمك حتى تساع أيضا فيك
رى في حواف الأحام عذقه على ماء الصافي تصيد سمك فإذا مر بها حطقه
فلم كبت تساع تأكل السمك ولطير تأكل سمك وسان بأكلون السمك
والسمك تأكل لسمك وكر في البحر دوت لا طعام ه إلا لسمك ولندبر فيه أن
يكون على ما هو عليه من كثرة

وإذا أردت أن تعرف سعه حكمه الخالق وقصر عزم المحلوفين ونظر إلى ما
في البحار من صروب السمك ودواب الماء والأصناف التي لا تحصى كثرة ولا
يعرف مفعها إلا الشيء بعد الشيء يدركه الناس بأسباب تحدث كما قد يقال في
صنع لمرمر أنه إما عرف بأن كنه كبت نجوم على شاطئ البحر بصور فوحدت
شيئ من الذي يسمى الخيرو فأكنته فحتصب حطمه بدمه فطر لسان إلى
حسبه وتحدوه صعب لمر وأشباه هذا ما يقع لسان عليه حالاً بعد ما

(أنصرف الآن إلى خلق الإنسان) وما فيه من الحكمة وما فيه من أدلته على التدبير والعمل فأول ذلك ما يدبر فيه من الخس من الرحم حتى لا حسه عنده في تلمس عداء ولا دفع أدى فيه بحري إليه من دم أمه ما يعدوه كما يعدو الماء الساب فلا يزال ذلك عداءه حتى يدكمل خلقه وستحكم يده وهوي أدبته على مباشره الهواء وبصره على ملاقاته الضوء هاج الطلق بأمه وأرعجه أشد إزعاج وأعنفه حتى يولد فإذا ود صرف ذلك الذي كان يعدوه من دم أمه إلى ثديها فغلب إلى صرب آخر من العداء هو أشد مروافقه للموود من الدم أعنى المس فيوفيه نلس في وقت حاجته إليه فيه حين يولد فقد تلمص وحرك شففيه لرصاع فيجد ثدي أمه كالاد وبن المعقتين لحاحته فلا يراى يعتدي بالنس من دم رطب اسدل رهو الامعاء حتى إذا تحرك واحتاج إلى عداء فيه صلالة يشد عظمه ولحمه طبع عنه لطواحين التي هي لأسس ليمصع بها الطعام فيلبس عليه ويسهل اساعته فلا يرب كذلك حتى يدرك فإذا أدرك وكان ذكراً طلع شعر في وجهه وكان ذلك هو علامته لذكر وعبر لرحل لدي يخرج به من حد البصبي وشبه النساء وأن كنت أنثى هي وجهها بقى من شعر لتقى ها الهجة والصبرة الي تحرك الرحل لما فيه من دوام لسل

(وفكر لار في أمر الإنسان) وما تدبر به في هذه الأحوال لمحتفقه هل ترى مثله ممكن أن يكون عليه بالإهمال أفرايت نوم يحرق إليه ذلك دم وهو في رحم أم يكن سيدوي ويحف كما يحف الساب يد فقد دبء ولو لم سرعجه اسخاص عنه سحكامه أم يكن بسقي في الرحم كالموود في الأرض ولو لم يوفيه نلس مع ولاده ألم يكن سيموت جوعاً أو يعتدي بعداء لا يلائمه ولا يصلح عنه بده ولو لم تطلع له الأسس في وقتها ألم يكن سممتع عليه المصع لبطعه وأساعته أو قسم على لرصاع ولا يشد بده ولا يصلح لعمل ثم شغل أمه بنفسه عن تربيته ولد غيره ولو لم يكن شعر يخرج في وجهه في وقته ألم يكن سيقى في هيته بصير والنساء فلا يري له حلاله ولا هيته ولا وقد من اندي كان يرصده حتى يوافيه بكل شيء من هذه المذب في وقته لا الذي أشاه خلقاً بعد د لم يكن ثم توكل بمصلحته بعد إد

كأنه لو كان الإهمال يأتي بمثل هذا، التدمير فقد سجد في بقياس أن يكون العمدة والتقدير يأتي بالخطأ والمحال لأنه صد الإهمال وهذا حلف من القول .

(فكر في أمر الاسان في باب آخر) وهو ولادته حين يولد عبياً غير ذي عقل وفهم فإنه لو كان يولد عاقلاً فاهماً لأنكر العالم عند ولادته حتى يبقى حيران نائه العقل إذا رأى ما لا يعرفه وورد على ما لم ير مثله فاعتبر ذلك بأن من سبي من بلد إلى بلد وهو متحسك عاقل يكون كالواله الحيران ولا يشرع في تعليم الكلام وقول الأدب كما يشرع الذي شأ صغيراً ثم لو كان يولد عاقلاً وخذ عصا صه أن يرى نفسه محمولاً ومرصعاً ومعضاً بالحرق ومسحى في المهد على أنه لا يستعي عن هذا كله لرفه يده ورطونه حين يولد ثم كان لا يوحد له من الخلاوة واسوق في القنوب ومن الرحمة والمرح ما يوحد لطفل فصار المولود بدخل العالم عبياً عاقلاً عما فيه الناس فتلفي الأشياء بذهن ضعيف ومعرفة ناقصة ثم لا يراى يتزيد في المعرفة قليلاً قليلاً شيئاً بعد شيء حتى يألف الأشياء ويتمرن عليها فيخرج من حد التأمل لها والخيرة إلى التصرف في الأمور والاضطرب في المعاش

وفي هذا وحوه آخر فإنه لو كان يولد تام العقل مستقلاً نفسه لذهب موضع تربيته لأولاد وما دبر أن يكون للوالدين في الاشتغال به من المصلحة وما توجب الترسه للآباء على السيرة من المكافأة دالر والعطف عند حاجتهم إلى ذلك مهم ثم كان الأولاد لا يأمنون آباءهم ولا الآباء بألقون آباءهم لأنه كان الأولاد يستعوبون عن تربية الآباء وحياطتهم فيتفرقون عنهم حين يولدون حتى لا يعرف الرجل أده ولا أمه ولا يعرفه أبوه وأمه ولا يمنع من مكح أمه وأخته إذا كان لا يعرفها وأقل ما يكون من ذلك أن يخرج من بطن أمه وهو بعقل فيرى من ما يحل به ولا يحس به أن يراه

أو لا يرى كيف أقيم كل شيء من إخلفة على عاية الصراب وتسكب فيه الخطأ دقيقة وجليلة ونحمر كتب الطب والطبيع أن الحيين يخلق من ماء الذكر والأنثى جميعاً فالذكر يقذف ماءه في رحم الأنثى والأنثى تقذف ماءها في رحمها لا بعدوها ثم محتطان في الرحم فيكون منهما الحيين يبدن الله وقدرته

واظهر كيف جعلت آلات الجماع في الذكر والأنثى جميعاً على ما يشاكل ذلك
فجعلت للذكر إذا كان يحتاج أن يقذف ماءه في غيره لة ناشرة تمتد حتى توصل
الطفة إلى الرحم وجعلت للأنثى إذا احتاجت إلى أن تشتمل على المائتين جميعاً
وتحمل الولد حتى يستحكم وعاء قعيراً يصلح لذلك.

فكر في أعضاء البدن أجمع وتقدير كل عضو منها للأرب فيها فاليدان للعلاج
والرحلان للسعي والعيان للاهنداء والأذن للسمع والأنف للشم والهم للاعتداء
والمعدة للهضم والكبد التحليص والمفاذ لنفض الفصول والأوعية لحملها والفرج
لإقامة السبل وكذلك جميع الأعضاء إذا تأملتها وجدت لكل منها قد قدر على
صواب وحكمة

فإن زعمت إن هذه من فعل الطبيعة سألك عن هذه لطبيعة أهي شيء له
علم وقدرة على هذه الأفعال أم ليست كذلك فإن أوحيت لها العلم والقدرة فما
امتاعك من إثبات الخالق فإن هذه هي صفة الخالق فإن زعمت أنها تعمل هذه
الأفعال بعير علم وعمد فهو محال لأن أفعالها ما قد ترى من الصواب والحكمة
فعلم أن هذا الفعل للحلاق العظيم وأن الذي سميت به طبيعة هي سببه من
خلقته الجارية على ما أجراها عليه^(١).

(فكر في وصول الغذاء إلى البدن) وما فيه من التدبير فإن الطعام يصير إلى
المعدة فتطحنه المعدة وتنعث بصفوه إلى الكبد في عروق دقاق وأشجة بينها قد
جعلت كالمنصفاة للغذاء لكيلا يصل إلى الكبد منه شيء عليل حشن فيكونها وذلك
أن الكبد رقيقة لا تحتمل العنف ثم أن الكبد ثقلة دماً وتنقله إلى لبدن كله في مجار
مهيأة لذلك بمسلة المجاري التي نهياً للماء حتى بطرد في الأرض كلها وينفذ ما يخرج
من الحش والفصول إلى مغايص قد أعدت لذلك فيما كان منه من جس المره

(١) هذا في الماشء منه والطبيعة على قولك تعصي أما فاعلاً أو مفعولاً فإن أردت الفاعل لزم أن
تجعلها مقدمة لمعولاتها وهذا كقولنا في البارء وإن أردت مفعولاً فلكن مفعول فاعل مما يسكر أن
يكون الله وإن كنت أن الطبيعة والطامع لم ير إلا أنيت بمحال وفلت مائتين قدعين

بصعراء أخرى إلى مراره التي هي مقرونة بالكبد وما كان من حس السوداء
أخرى إلى الطحال وما كان منه من ليله والرطوبة أخرى إلى المثانة [تأمل حكمة
التدبير] في تدبير تركيب البدن ووضع هذه الأعضاء موضعها وأعداد هذه الأوعية
فيه لتحمل تلك لفصوص ولا تنتشر في البدن فتسقمه ولو أحدث مثلاً صعباً من
شبهه أو محس أو شمع فأردت أن تجعله كبيراً هل كان يمكنك ذلك إلا بأن تكسره
وتصوعه من لرأس صيدغه أخرى

أفلا ترى جسم لصبي كيف يمتو بجميع أعضائه وهو ثابت على شكله
وعينه وهيئته لا يريد ولا يفسد وأعصب من هذه بصويره في رحم حيث لا تراه
عين ولا سله يد مخرج سواً مستترياً بجميع ما به قوامه وصلاحه من لأحشاء
والخوارج والعوامل وخواص إلى ما في تركيب أعضائه من العظام واللحم والشحم
والمخ والعصب والعروق والعصارات من دقائق التركيب والتقدير والحكمة أنظر
إلى ما حصل به لسان في حلقه تشريفاً وفصيلاً له على الالهيم فيه حتى ينتصب
قائماً ويسوي جالساً لسفلس الأشياء بيديه وجوارحه وتمكنه لعلاج والعمل فيها
ولو كان مكتوباً على وجهه كدوات الأربع لما استطاع أن يعمل شيئاً من الأعمال
ولهذا المعنى صار الاسد سمة ناليونية مشتقاً من النظر إلى العدو كما قال قائلون
أو من تأمل الأمور العلوية كما قال أفلاطون

أنظر إلى هذه الخواص التي منها تشرف النفوس على الأشياء كيف جعلت في
لرأس كإصابع فوق المدرة ليتمكن من مطالعة الأشياء ولم يجعل في لأعضاء التي
تمتد كاليد والرحمين فمعرض ثلاث التي تصيبها من مباشرة العمل وحركة
ولا في الأعضاء التي تحي وسط البدن كالنظر والظهر فيعسر تلقيها وإطلاعها نحو
لأشياء فلم يكن لها في شيء من هذه الأعضاء موضع كان الرأس أهلاً للمواضع
ها وقد أحسن في وصف الرأس بعض الحكماء فقال هو صومعة الخواص من
جعل لخواص حساً لا من جعل المحسوسات مثل ذلك قدرها حساً تلقى حساً
لكيلا تقوم الخواص شيء من المحسوسات

فإن قلت فلعل في الأحسام محسوسات أخرى ليس تنفذها حواس تدركها

وقدنا) محل أن يكون محسوسات ليس تلفها حواس تدركها لأنها كانت تكون فضلاً لا معنى له وليس في الخلفة شيء لا معنى له كالذي حكمت به الحكماء وشهدت عليه المحنة . لم خلق البصر إلا ليدرك الألوان والأشكال والأصواء . ولم خلق السمع إلا ليدرك الأصوات ولو كانت الألوان ولم يكن بصر يدركها هل كانت تكون في الألوان منفعة ولو كانت الأصوات ولم يكن سمع يدركها هل كان في الأصوات أرب وكذلك سائر الحواس . ثم هذه كلها أيضاً ترجع متكافئة فإنه لو كان بصر ولم يكن ألوان لم يكن للبصر معنى ولو كان سمع ولم يكن أصوات لم يكن للسمع موضع .

أنظر كيف قدر بعضها تلقاء بعض فجعل لكل حاسة محسوساً تعمل فيه ولكل محسوس حاسة تدركه . وفكر مع هذا في أشياء جعلت متوسطة بين الحواس والمحسوسات لا يتم الحسن إلا بها كمثّل الضياء والهواء فإنه لو لم يكن ضياء يظهر اللون للبصر لم يكن البصر يدرك اللون ولو لم يكن هواء يؤدي الصوت إلى السمع لم يكن السمع يدرك الصوت فهل يخفى على من صح نظره أن مثل هذا الذي وصفا من تهيئة الحواس والمحسوسات بعضها تلقاء بعض وتهيئة أشياء أخرى بها تتم الحواس لا يكون إلا بعمد وتقدير .

فكر في الذي عدم البصر من الناس وما يناله من الخلل في أموره فإنه لا يبصر موضع قدمه ولا يعرف ما بين يديه ولا يفرق بين الألوان ولا بين المنظر الحسن والقبيح ولا يندر بحفرة أن هجم عليها ولا يعدو أن يبعد ولا يعرف أن هوى إليه بسيف ولا يكون له سبيل إن تعلم شيء من هذه الصاعقات كالنجارة والكتابة ولصياغة حتى لولا بقاء ذهنه لكان بمنزلة الحجر الملقى . وكذلك من عدم السمع قد يختل في أمور كثيرة فإنه يعقد روح المحاطية والمحاورة ويعدم لذة الأصوات والدخول الشجية والمطربة وتعظم المؤنة على الناس حتى يتبرموا به ولا يسمع شيئاً من أخبار الناس وأحاديثهم حتى يكون كالغائب وهو شاهد وكالميت وهو حي .

فأما من عدم العقل فإنه يلحق بمنزلة البهائم بل يجهل كثيراً مما تهتدي إليه

لبيهاثم أفلا ترى كيف صارت هذه الجوارح والعقل وسائر الخلال التي بها صلاح
الإنسان والتي لو فقد منها شيء لعظم ما يناله في ذلك من الخلل فيؤدي في خلقه على
التمام حتى لا يفقد منها شيئاً ولم كان ذلك لولا أن خلقه بعهد وتدبير.

والقول المحمل أن الصانع جل ثناؤه إذا ثبت أنه حكيم عدل رالت عنه
لتهمة فيما فعله إذ هو أعرف بمنافع الإنسان ومصلحته وعواقب أموره وإن لصانع
جل عن التشييل كطبيب حاذق مأمور الخطأ بعلاج بما فيه مصلح وألم ولا يسب
إلى قساوة قلبه ولا إلى حوره واضرار بالعليل ولا إلى الخطأ^(١)

فإن قلت ولم صار بعض الناس بمقد شيئاً من هذه الجوارح حتى يناله مثل
هذا الخلل قلنا للتأديب والموعظة للواقع ذلك به ولغيره بسببه كما قد يؤدب ملوك
لأرض مآثي التثكيل والموعظة فلا يسكر ذلك عليهم سل بحمد ويستصوب من
تدبيرهم . ثم أن الدين بهم هذه البلاء من الثواب في الآخرة إن صبروا وشكروا
وأناؤا ما يستصفرون معه ما ينالهم منها حتى أنهم لو خيروا بعد البعث لاختاروا أن
يردوا إلى البلاء ليزددوا من الثواب.

(فكر في الأعضاء) التي خلقت أفراداً وأزواجاً وما في ذلك من الصواب
والحكمة فالمرس مما خلق فرداً ولم يكن خير أن يكون أكثر من ذلك ألا ترى أنه لو
أصيف إلى رأس الإنسان رأس آخر كان ثقلاً عليه من غير حاجة إليه لأن جميع
الحواس التي محتاج إليها مجتمع في رأس واحد . ثم كان اللسان ينقسم قسمين لو
كان له رأسان فإن تكلم من أحدهما كان الآخر معطلاً لا أرب فيه وإن تكلم من
جميعاً بكلام واحد كان أحدهما فصلاً وإن تكلم من أحدهما بغير الذي يتكلم به من
الآخر لم يدر السامع بأي ذلك يأخذوا أشاء هذا من الاختلاط . واليدان مما خلق
أزواجاً ولم يكن للإنسان خير أن يكون له يد واحدة لأن ذلك يحل به فيعالج من
الأمور . ألا ترى أن الجوارح والباء لو شلب إحدى يديه لم يستطع أن يعالج

(١) من قوله والقول المحمل إلى هنا مثبت في هامش ويظهر أنه من الأصل بعد قوله بعهد وتدبير . هـ

صناعته فإن تكلف ذلك لم يحكمه ولم يبلغ به ما بلغه إذا كان له يدان يتعاونان على العمل

(فكر في الصوت) ونهيئة آلاته والكلام وانتظامه والحروف وما هي لها من المخارج وأعينت به من الهواء وكيف جعل شيء من الآلات لما خلق له^(١) فكر في تهيئة آلات الصوت والكلام في الإنسان فالحجرة كالأنبوب لخروج الصوت واللسان والشفتان والأسان لصياغة الحروف والنغم ألا ترى أن من سقطت أسانته لم يقم السير ومن تقصب شفته لم يصح العاء ومن ثقل لسانه لم يفصح الرء فما أحس ما مثل الأولون مخرج الصوت بالمرمار الأعظم فشبهوا الحجرة بقصبة المرمار وشبهوا الرئة بالزق الذي ينصح به من تحته ليدخله الريح وشبهوا العضلات التي تقبض على الرئة لخروج الصوت من الحجرة بالأكف الذي تقبض على لزق حتى تجري الريح في المرمار وشبهوا الشفتين والأسنان التي تصوغ الصوت حروفاً وعماء بالأصابع التي تختلف على فم المرمار فيصوغ صميره ألقاناً غير أنه وب كان مخرج الصوت يشبه المرمار للدلالة والتعريف فإن المرمار بالحقيقة هو المشبه بمخرج الصوت لأن المرمار صناعي والصوت طبيعي والصناعة هي التي تحكي الطبيعة. ولكنه لما كانت الصناعة أظهر وأعرف عند العامة من الطبيعة صارت أفعال الطبيعة تمثل بأفعال الصناعة ليفهم ويونغ عليها. فإذا كانت الصناعة هي التي تتعجب من اللطف والحقمة فيما يحكي الطبيعة فالخري أن تعجب من الطسعة ولطف أفعالها ولش كان الإهمال يضعف عما تأتي به الصناعة هو عما تأتي به الطبيعة أضعف قد أنشأنا عما في هذه الأعضاء من الغناء في صفة الكلام وإقامة الحروف. وفيها مع الذي ذكرنا مأرب أخرى فهي الحجرة يسلك هذا السيم إلى الرئة فيروح عن المواد بهذا النفس الدائم المتتابع وباللسان نذاق الطعوم فيميز بينها ويعرف كل واحد منها وفيه مع ذلك معونة على أساغة الطعم والشراب وبالأسان يوضع اطعام فيلبن ويسهل ابتلاعه وهي بعد كالسد للشفتين تمسكها وتدعمها

(١) من قوله فكر في الصوت إلى هنا مثبت في المامش أيضاً

من داخل الفم فاعبر ذلك ثلث ترى من سقطت أسنانه مسترحي شفة مصطرها
وبالشفتين يترشف لشراب حتى يكون الذي يدخل منه بقصد وقدر لا يثج ثجا
فيعصر به الشراب ويسكا في الخوف ثم هما بعد كالباب أو كالطبق على الفم يفتحهم
الأسنان إذا شاء ويظفهما إذا شاء وهما حسن مطر بهم ألا ترى الذي قطع شفته
فحق مطره عنة

فهيما وصفا من هذا بيان أن كل واحد من هذه الأعضاء تنصرف إلى وحوه
من المذرب كما تنصرف الأداة الواحدة إلى أعمال شتى وحدث كلفاس يستعمل في
عمل الحجارة والخمر والفتار وغيرهما من لأعمال وكذلك الشفة تصلح للتقيل
ولخص الماء وإقامة بعض الحروف وجمع المخارج ودفعها وتغير ذلك

(أما ريت الدماغ) قد كشف عنه كيف تجده قد لف بحجب بعضه فوق
بعض تصونه عن الأعراض وتمسكه من أن يضطرب ثم أصقت عليه الحمجمة
ممرلة البيضه لتبسه حد الصامة والصكه تقع بالرأس ثم حبب حمجمة بالحد
واسعر الذي هو فروا الرأس يسمنه من فروط آخر ولورد فمن حصص الدماغ
هذه تخصيص ودره هذا التقدير إلا من حمله فعلم أنه يسوع حسن والمنسحق
بكل هذه الحبيطة تمرنتها من البدن ومحل العقل فيه

من جعل الحصر على العبر كالغشاء والاسفار كالشرح وأولها في هذا
عار وأظلمها بالاحتجاج وما عله من الشعر

من عيب الفؤاد في خوف صدر وكسه المدرعة التي هي عشوة وحصه
بالخوارج وما عليها من اللحم والعصب بهي ولا يتقل وجعل شعده في حق يصونه
وأمره على الخوارج والخوارس فأبيه ينتهي ما يؤديه بل من جعله مسكاً لحوهر
بروح من جعل في الخلق مبدئين أحدهما للصوت وهو الخلقوم انواصل إلى الرئة
والآخر للعداء وهو المريء انواصل إلى المعدة وجعل على الخلقوم طبقاً يجمع الطعام
أن يصل برئه فيستل به من جعل الرئة مروحته بمؤد لا تفتر ولا تحل كيلا
تحتصر الحرارة في الفؤاد فيؤدي إلى التلف

من جعل للمعاد البور والمائط أشراجاً يضمها ويضبطها لكيلا تحري جرياً
دائماً فيفسد على الانسان عيشه وكم عسى أن يحصي المحصي من هذا بل الذي لا
يحصى منه أكثر.

لم صارت المعدة عصبانية شديدة إلا أنها قدرت لهضم الطعام لخليط ولم
صارت الكبد رقيقة ناعمة أنها قدرت لقبول صفو اللطيف من الغذاء والهضم
وعمل هو الظم من عمل المعدة

لم صار المخ الرقيق محصاً في أديم .عصم .إلا لتحيطه وتصونه .لم صار الدم
السيال محصوراً في العروق مرلة الماء في الطروف إلا لتوسطه فلا يعص .لم صار
الأطمار على أطراف الأصابع إلا وقية لها ومعونة على العمل .لم صار داخل الأذن
ملتوياً كهيئة اللولب إلا ليترد فيه الصوت حتى ينتهي فيه إلى السمع ولتتكسر حمية
الريح فلا تنكأ في المسامع كما قال آخرون . لم جعل الأسد على فخذيه هذا اللحم
الوثير إلا لبقية من الأرض فلا يأمن من الجحوش عليها كما يأمن من قد يحل جسمه
وقل لحمه إذا لم يحل بينه وبين الأرض حائل

من جعل الانسان ذكراً وأنثى إلا من خلقه مناسلاً . من جعله متناسلاً إلا
من حصه ميتاً . من أعطاه آلات العمل إلا من جعله عاملاً من جعله عاملاً إلا من
جعله محتاجاً من ضرره بالحاجة إلا من توكل بتفويجه من حصه بالمهم إلا من
أوجب له الجراء . من وهب له الخيلة إلا من ملكه من ملكه الخلق إلا من ألزمه
الحجة له الجراء . من وهب له الخيلة إلا من ملكه من ملكه الخلق إلا من ألزمه
الحجة من يكفيه ما لا تلعه حيلته إلا من لا يبلغ مدى شكره تبارك وتعالى لا
تحصى نعمه . ذكر أرسطاطاليس في صفة خلق الانسان ان في الفؤاد ثقباً مواججه
نحو الثقب التي في الرئة سواء لسحبل الريح من الرئة فتروح عن الفؤاد حتى أنه لو
اختلف الثقب وتزايل بعضها عن بعض لما وصلت الريح إلى الفؤاد فكان في ذلك
هلاك الانسان . فيسنحيز ذو فكرة وروية أن يرغم أن مثل هذا يكون بالإهمال أولاً
يجد شاهداً من قلبه يزعه عن هذا القول . لو رأيت فرداً من مصراعي باب فيه
كلوب أكنت تتوهم أنه كان هكذا بلا معنى بل كنت ستعلم أنه مصنوع تلقاء فرد

أحر فيه دمه سيكون في أحشائها صرب من المصنعة وهكذا تجد الذكر من الحيوان
 ذاته فرد من روح قد جعل له فرح مهيب، تلقاء فرج الأنثى يلتقيان لما فيه دوام
 السل وبماؤه فتأ وحية لأفيقوروس وأشاهه حين عميت قلوبهم عن هذه الخلقه
 العجيبه حتى أنكروا المدير والعمد فيها لو كان فرح الرجل مسترخياً أبدأ كيف
 كان يصل إلى قعر الرحم حتى يفر الطقة فيه ولو كان معطاً أبدأ كم يكون
 الرجل يتقلب في الفراش ويمشي بين الناس وشيء شاحص أمامه ثم كان في ذلك
 مع فتح المطر تحريك الشهوة في كل وقت من النساء والرجال جميعاً فيدعوهم
 تحريكهما إلى المصاصة وهذا على لأواب يؤدبهم إلى اهلاك فقدراً أن يكون مسترسلاً
 في أكثر ذلك كيلا يبدو للنصر في كل وقت ولا يكون عن الرجل فيه مؤنة وجعلت
 فيه قوة الانتصاب عند الحاجة إلى ذلك ما فيه من دوام السل وبقائه أليس من
 حسن التقدير في النساء أن يكون الحلاء في أستر موضع من الدرع هكذا تجد للمعد
 نهياً للحلاء من الانسان في أستر موضع منه فإنه ليس درراً من خلفه ولا ناشر
 بين يديه بل هو معيب في موضع عامصر من البدن ينتهي عليه المحدثان على
 من اللحم فتواربانه فإذا حصرت الحاجة إلى الحلاء وحلست لها الانسان تلك
 المحلصة ألقى ذلك الموضوع منه منتصباً متهاً لاحتداد الثقل

(فكر في هذه الطواجر) التي خلقت للاسان كيف جعلت الاسان منها
 حداً، لقطع لطعام وهتكه وجعلت الأصراس عراضاً لرضه ومصعده فلم ينقص
 واحد من الصفيين إذا كان يحتاج إليهما جميعاً.

[نأمل لتدبير في خلق الشعر لأطفار] فإنها إذا كانا مما يطول ويكثر حتى
 يحسح إلى تحميمه أولاً فأولاً جعل عديمي الحس لكيلا يؤلم الاسان الأحد منها ولو
 كان قص لشعر وتقليم الأطفار مما يوحد له حس وألم كان الإنسان من ذلك بين
 أمر من كريبين أما أن يدع كل واحد منهما بطول حتى يفدحه ويثقل عليه وأما أن
 يحففه بوجع وألم يباله منه لو ست الشعر في العين ألم يكن سيعمي النصر ولو ست
 في الفم ألم يكن سيعص على الاسان طعامه وشرابه ولو ست في باطن الكف ألم
 يكن سيعوفه عن صحة اللمس وبعض الأعمال التي تعمل بالراحة كالمصافحة

وشبهها ولو ثبت على فرح المرأة وعلى عوف الرجل لم يكن سيفسد على الإنسان مدة الجماع فانظر كيف تكذب بالشعر هذه المواضع لما في ذلك من المصلحة وأنته في المواضع التي هو لها زير ثم ليس هذا في الإنسان فقط بل هو في البهيمة أيضاً فإنك ترى هذه المواضع خالية منه لهذا السبب عنه . أفلا ترى الخلقة كيف تتخلل رجوه خطأ والمضرة وتقع بوجوه الصواب والمنفعة إن الماشية وأشباههم حين اجتهدوا في عيب الخلقة عابو الشعر النابت في الركب والأطنين والفخذ والعانة وإنما يكون هذا من الرطوبة تدفعها الطبيعة إلى هذه المواضع فيبت فيها الشعر كما ينبت العشب في مستنقع الماء أو لا ترى أن هذه المواضع أستر وأهياً لقبول لقول تلك الفضلة من غيرها .

ثم إن هذا بعد حمل الإنسان من مؤنة هذا البدن وتكاليفه لما في ذلك من المصلحة فإن اهتمامه بتنظيف بدنه وكسح ما يعلوه من الشعر والدرن مما يكره شرته ويكف عاديته وشعله عن بعض ما يخرج به إليه الفراغ والبطالة .

[فكر في لريق] واستفحة فيه فإنه جعل يجري دائماً إلى الفم ليبل اللق واللهوات فلا يجف فإن هذه المواضع لو جفت كان في ذلك هلاك الإنسان ثم كان لا يستطيع أن يسبح طعاماً إذا لم يكن في الفم بلة تمنعه يشهد بذلك قول أبقراط الرطوبة مطية الغذاء وقد يجري مثل هذه البلة إلى مواضع أحر من المرة فيكون في ذلك رجاء فعل من الأعمال الطبيعية .

[أعلمت ما في الأطفال من المنفعة في البكاء] فإن من قول الأطباء أن في أدمغتهم رطوبة إن بقيت فيها أحدثت عليهم أحداثاً حليلاً وإن الكاء سبيل تلك الرطوبة من رؤوسهم فيعقبهم ذلك الصحة في أديهم أفليس قد جاز أن يكون الطفل يتنفع بالبكاء وأنت لا تعرف ذلك فهكذا يجوز أن يكون في كثير من الأشياء منافع لا تعرفها فلا تقصر على الشيء أنه لا منفعة فيه من قبل إنك لا تعرفها فإن كثيراً مما لا تعرفه أنت يعرفه غيرك وكثيراً مما يقصر عنه علم المخلوق يحيط به علم الخالق سبحانه .

طاش الوهم طيشة فقال لو كان بطن الإنسان مشققاً مثل القسا لفتح

نفسه إما سوء فيعين ما تعرض من داء فيه ويدخل يده فيعالج ما أراد إصلاحه
 منه ألم يكن اصبح من ان يكون مصمماً محبواً عن البصر وايد لا الطبيب يعرف
 ما تعرض فيه إلا بدلالات عامصة كمثل النور والمحنة وما أشبه ذلك ثم يكثر فيه
 لعبط واشبهة حتى يكون سبباً للموت، فقبل له لو هذا هكذا كان أول ما فيه أنه
 كان سقط على الاسنان الوحش من الأمراض واشتد الموت فيستشعر النقاء
 والسلامه فيجرحه ذلك إلى العتو والأشر وقسوة القلب كما ذكرنا مراراً ثم كانت
 الظروف التي في البطن سترشح وتحبب فيفسد عبي الاسنان مقعده ومزقه
 وثياب فصلته وريسته من كان يصعد عليه عيشه ثم ان المعدة والكبد وانفؤاد ينف
 بفعل أفعاله بحرارة طبيعية لمحنة في الخوف فلو كان في البطن فروح تفتح
 حتى تصل العير إلى رؤيته وليد إلى علاجه لوصل برد هواء إلى خوف فباحث
 الحرارة الطبيعية ويصل عمل الاحشاء وكان في ذلك هلاكه

أفلا تري أن كل ما تذهب إليه لأوهام سوي ما جاءت به الخلقه حصاً
 وحطل (فكر في هذه الأفعال لطعية) التي جعلت في الاسنان تحمل من الطعام
 والنوم والجماع^(١) وما ذكر فيها فيه قد جعل لكل واحد منها في الطاع لنفسه محرك
 يقتضيه ويستحث به فاحسب يقضي الطعام الذي به حياة البدن وقوامه والكرى
 يقضي النوم الذي هو راحة البدن وحموم قواه والشوق يقضي الجماع الذي يكون
 به دوام نسل وبقاءه فلو كان الاسنان إلى يصير إلى أكل الطعام بعرفته بحاجة
 به به ولم يجد من طمعه شيئاً يحرقه لذلك كان حليفاً من سوان عنه أحياناً يشعل
 أو كسل حتى يجعل يده فيهلك كما قد يحتاج المرء إلى الدواء والعلاج أو شيء مما
 يصح يده فيدفع به حتى يؤديه ذلك إلى المرض أو الموت وكذلك لو كان إلى
 يبصر إلى نوم بالمكر في حاجته إلى راحة البدن واحكام قواه كان عسى أن يتأخر
 عن ذلك ويدفعه حتى يهلك يده ولو كان إنما تتحرك للجماع بسرعة في الولد

(١) هكذا يظهر في عبارة تحريف وهي في كتاب الحكماء في المحبوبين شعراي هكذا ثم في أي نظر
 فيها جعل عنه الاسنان من الاحتياج إلى الطعام والنوم والجماع وهي ظاهرة

كان غير بعيد من أن يفتّر عنه حتى يقل السسل أو يقطع فهد من الناس من لا
يرعب في الولد ولا يحفل به .

فانظر كيف جعل لكل واحد من هذه الأفعال التي بها قوام الانسان
وصلاحه محرك من نفس الطبيعة يحركه له ويحدوه عليه .

وقد وصفت الأطباء في كتب الطب القوي الأربع التي في البدن وأفعالها
فالجاذبة هي التي تتولى قبض العذاء وإيراده على المعدة . والممسكة هي التي تحبس
الطعام ريثما يفعل لطعام فيه فعله . والهاضمة هي التي تطحنه وتستخرج صمومه
وتنثه في البدن . والدافعة هي التي تحدر الثفل الفاصل بعد أحد الهاضمة منه
حاحتها . وفكر في تقدير هذه القوى للحاجة إليها والأرب فيها وما في ذلك من
الديبر والحكمة فلولا القوى الجاذبة لم كان الانسان يتحرك لطلب العذاء ادى به
قوام البدن . ولولا الممسكة كيف كان الطعام يلث في الجوف حتى تهضمه المعدة
ولولا الهاضمة كيف كان ينطخ حتى يخلص منه لصمومه الذي يغدو به البدن ويسد
خلله . ولولا الدافعة لم كان الثفل الذي تحلّمه الهاضمة يدمع ويخرج منه أولاً
فاولاً .

أفلا ترى كيف وكلت هذه القوى بالبدن والقيام ي فيه صلاحه فصار البدن
بمنزلة دار للملك فيها له حشم وقوام موكلون بالدار فواحد لاقتضاء حوايج الحشم
وإيرادها عليهم وآخر لقبض ما يرد وحزبه إلى أن يعالج ويهيأ وآخر لعلاج ذلك
ولتهيئة وتفرقة في الحشم وآخر لكسح ما في الدار من لأقدار والأقذاء وإخراجها
مها .

فالملك في هذا المثل هو اخلاق العليم مالك العاين والدار هي البدن
والحشم وهي الأعضاء والقوام هم هذه القوى الأربع ولعلك ترى ذكرنا لهذه
القوى وأفعالها بعد الذي وصف في ذلك من كتب الطب فصلاً في القول وترديداً
لأمر معروف وليس ذكرنا لهذه القوى على الجهة التي ذكرت في كتب الطب ولا
مذهبنا فيه ذلك المذهب لأن ذكرها هناك على ما يحتاج إليه في صناعة الطب
وتصحيح الأبدان وذكرها هنا على ما يحتاج إليه في صلاح الدين وشماء النفوس

وتصحیح درس کالدي وصحب بالوصف بشافي والمثل المصروب من التدبير
واحکمة فيها

تأمل هذه انقوى التي في النفس وموقعها من الانسان أعني الفكر والوهم
والعقل والحفظ وسائر ذلك أمرايت لو نقص لاسان من هذه الخلال الحفظ وحده
كيف كنت تكون حاله وكم من حبل كان سيدخل عليه في أموره إذا لم يكن يحفظ
ماله وما عليه وما أحد وما أعطى وما رأى وما سمع وما قد وما قيل له ولم يذكر
من أحسن إليه ومن أساء إليه وما نفعه وما صره ثم كان لا يهتدي لطريق ولو سلكه
مراراً لا يحصى ولا يعجز عناً لو درسه عمره ولا يتمتع بتحررة ولا يستطيع أن يعبر
شئاً على ما مضى بل كان حقيقاً أن يسبح من الأنسبة إلى المهمة

(أنظر إلى النعمة على لسان) كيف موقع الوحدة منها دور اجمع
وأعجب من هذه نعمة على الانسان في الحفظ، النعمة عليه في السيان فإنه لولاه ما
سلا أحد عن مصيبة ولا نقصت له حسرة ولا مات له حقد ولا سمع شيء من
مناج الدنيا مع تذكر الآفات ولا رجا عقله من سلطان ولا فترة من حاسد أفلا ترى
كيف جعل في لسان الحفظ والسيان هما مختلفان متضادان وجعل به في كل واحد
منها صبر من المصلحة وما عسى أن يقول الدب قسموا الأشياء بين خالقين
مضادين وجعل له في هذه الأشياء المتضادة التي ترها تجمع على ما فيه لصالح
والمنفعة فكر في هذا الخلق الذي حص به الانسان دور جميع احيوان أعني احياء
ما أكر قدره وأعظم عاه فلو لا احياء لم يهر نصف ولم يوف بالعدات ولم ينقص
الخوائع ولم يسحر الخمين ولم يتك القسح في شيء من الأشياء حتى أن كثيراً من
الأمور المخرصة أبصاً إنما تفعل للحياء فإن من لباس من لولا احياء لم يرع حو
والدبه ولم يؤد أمانه ولم يعف عن فاحشة أفلا ترى كيف وفي الانسان جمع احوال
التي فيها صلاحه ورحاء أموره

فكر فيما أعم الله تعالى به على لسان في هذا المنطق الذي يعبر به عم في
صميره ويهيم عن غيره ما في نفسه ولولا ذلك كان تمرله السهيمه التي لا تخر عن
نفسها شيء ولا تفهم عن غير شيئاً وكذلك الكتاب الذي به تفيد أحوال المصين

الباقين وأخار الباقيين للآتين وبه تجلد الكتب والعلوم والآداب وبه يعلق الناس ذكر ما يجري بينهم من الحساب والمعاملات فلولا الكتاب انقطعت أحبار بعض الأزمنة عن بعض ودرست العلوم وضاعت الآداب وعظم ما يدخل على الناس من الخلل في أمورهم والمعاملات التي تجري بينهم واختل نظام العالم

ولعلك أن تقول أن الكتاب مما يخلص الناس إليه بالحيلة والمطعة وليس مما أعطيه الإنسان في خلقه وطاعه وكذلك الكلام إنما هو شيء يصطلىح عليه الناس فيجري بينهم فلدلك ما صاروا يختلفان في الأمم المختلفة فلساد هؤلاء غير لسان أولئك وكتاب أولئك غير كتاب هؤلاء والأمور الطبيعية ليس بين الناس فيها اختلاف فنقول في جواب ذلك أنه وإن كان للإنسان في الأمور جميعاً فعل وحيلة فإن الشيء الذي يبلغ ذلك الفعل والحيلة عطية وهبة من الله تعالى في خلقه فإنه لو لم يكن لسان مهيب للكلام وذهن يهتدي به للأمور لم يكن ليتكلم أبداً ولو لم يكن له كف وأصابع مهيأة للكتاب لم يكن ليكتب أبداً واعتبر ذلك من الهاميم التي لا كلام لها ولا كتاب.

(فكر فيما أعطى الإنسان نفسه) وما منع منه فإنه أعطى جميع ما فيه صلاح دينه ودنياه وما فيه صلاح ديه معرفة الخالق بالدلائل والشواهد القائمة في الخلق ومعرفة الواجب عليه من العدل على الناس وبر الولدين وإداء الأمانة ومواساة أهل الخلة وأشباه ذلك مما قد توجد معرفته والإقرار به في الطبع والفطرة في كل أمة. وكذلك أعطى لاسان علم ما فيه صلاح دياه كالزراعة والغراسه واقتناء الأغنام والأنعام واستنباط المياه ومعركة العقاقير التي يستشفى بها من صروب الاسقام والمعادن التي يستخرج منها أنواع الجواهر وركوب السفن والغوص في البحر وصروب الخيل في صيد الوحوش والطير والسمك والتصرف في الصناعات ووجوه المتاجر والمكاسب وغير ذلك مما فيه صلاح أمر عبيه في هذه الدنيا فأعطى كل ما وصفناه من علم ما يصلح به ديه ودنياه ومنع ما سوى ذلك مما ليس من شأنه ولا في طبعه أن يعلمه كعلم العيب وما هو كائن وبعض ما قد كان أيضاً كعلم ما فوق السماء وما تحت الأرض وفي لجج البحار وأفطار العالم وما في قلوب

الناس وما في الأرحام وأشياء ذلك هي حجب عن الناس علمه فإنه وإن كان أناس
أدعوا علم هذه الأمور فقد تطل دعواهم هي يتبين من حطتهم فيما يقصرون عليه
ويدعون علمه فانظر كيف أعطى الإنسان علم جميع ما يحتاج إليه ليديه وديبه
وحجب عنه ما سوى ذلك ليعرف قدره ونقصه وكلا الأمرين لما فيه صلاحه

(وما ستر على الإنسان علمه مدة حياته) فإنه لو عرف مقدار عمره وكان
فصراً لم تنهر بالعش مع ترفق الموت بل كان مكرلة من قد هي ماله أو قرب
الماء فقد استشعر فقره ولوجل منه على أن الذي يدخل على الإنسان من فناء
لعمر أكثر مما يدخله من فناء المال لأن من فقد ماله يؤمن أن يستحلف عليه منه
فيسكن إلى ذلك ومن يقرب فناء لعمره استحكم عليه اليأس وإن كان طويلاً
انعم عرف ذلك ووثق بالبقاء فاهمك في الملمات والمعاصي وعمل على أنه سلع من
ذلك شهوته ثم يتوب في آخر عمره وهذا مذهب لا يرضاه الله سبحانه من العباد
ولا يقبله إلا نبي أن العبد لو عمل على أن يسخط مولاه ستة ويرضاه يوماً أو
شهراً لم يقبل ذلك منه ولم يحس عندك محس لعبد الصالح دون أن يصمر طاعتك
ويصحت في كل الأوقات وعلى كل الحالات

فإن قلت أو ليس قد يقيم الإنسان على المعصية حيناً ثم يتوب فيقبل ذلك
منه فهذا أن ذلك شيء يكون من الإنسان بعلة به من الشهوات وبروغة عيب من
عمر أن يقدره في نفسه وينبغي أمره عليه فيصمخ الله عنه ويتفصل عليه بالمعصية يعرفه
بضعف حوهره فأما من قدره أمره على أن يعصى الله تعالى ما سأل ثم يتوب في آخر
ذلك فربما يحاول حديعة من لا يحدح بأن يتسلف لتلد في العجل ويعد بالتوبة
في لاجل لعله لا يهي عما يعد من ذلك فإن البروع عن الترفه والتندد آيس من
معدة توبة ولا سيما عند الكبر وضعف بدن فإنه أمر صعب فكان لا يؤمن على
الإنسان أن يدفع لتوبة حتى يرهقه الموت (أو يعوقه عائق) فيحرج من الدنيا عمر
تائب كما قد يكون على المرء دين إلى أجل وهو يقدر على قصائه ولا يزال يدافع حتى
يجل الأجل وقد بعد المال فيبقى الدين قائماً عليه فكان حرج الأشياء للإنسان أن
ستر عنه ماله وعمره فيكون صوب عمره يترقب الموت فيسكن عن المعاصي ويؤثر

العمل الصالح .

فإن قلت فيما هو الآن وقد ستر عنه مقدار حياته وصار يتربص الموت كل ساعة يفارق الفواحش وستهك المحارم قلنا إن وجه التدبر في هذا الباب هو اندي حري عليه الأمر فيه فإن كان اللسان مع هذا لا يرعوى ولا يصرف عن المساويء وإنما ذلك من مرحه وفسوة قلبه لا من خطأ التدبر كما أن الطيب قد يصف للمريض ما يستمع به فإن كان المريض مخالفاً للطيب لا يعمل بما يأمره ولا ينتهي عما نهه عنه فلم يستمع بصفته لم تكرر الأساءة في ذلك للطيب بل للمريض حين لم يصل ذلك منه . ونش كان اللسان مع ترقه الموت كل ساعة لا يمنع من المعاصي فإنه لو وثق بطول البقاء كان حري أن يخرج إلى الكثر القطيعة فرقت الموت على كل حال خير من الثقة بالبقاء

ثم إن تربص الموت وإن كان صنف من الناس بهون عنه ولا يسمعون به فقد استمع به صنف حر من الناس فيسرعون عن المعاصي ويؤثرون العمل الصالح ويحذرون بالأمول ولعقد النفس في الصدقة على الفقراء والمساكين فلم تكرر من لعذل أن يحرم هؤلاء من الانتفاع بهذه الخلة لتضييع أو ثبوت حطهم منها

(فكر في الأحكام كيف دبر أمرها) فمرح صادقها تكادها فيها لو كانت كلها تصدق كان الناس كلهم أسياء ولو كانت كلها تكذب لم يكن فيها منفعة بل كانت فضلاً لا معنى لها فصارت تصدق أحبباً ليستفيع بها الناس في مصلحة يهتدي بها أو مصرة يتحرز منها وتكذب كثيراً لئلا يعتمد عليها كل الاعتماد .

فكر في هذه الأشياء التي تراها موحوده معدة في العالم من أرب اللسان والتراب للبناء والحديد للصاعات والخشب للسفن والحجارة للأرجاء والحاس للأواني والفضة للمعاملة والجواهر للسحر والحبوب للعداء والشمار لتفكه واللحوم لمتاكل والطيور لتتندد والأدوية للتصحيح والدواب لحموله والخطب لتوقود والرماد للكلس والرمل للأرض وكم عسى أن يحصى المحصى من هذا وشبهه

أمرأت لو أن رجلاً دخل داراً فصر إلى حراث مملوءة من كل ما يحسح إليه

الناس ورأى كل ما فيها مجموعة معدة لآسان معروفة أكان بشوهم أن هذا يكون بالإهمال من عمر عمد فكيف يستحير فئل أن يقول هذا في العالم وما أعد فيه من لأشياء

فكر في أشياء خلقت لآارب الآسان وما فيها من التدبير فإنه خلق الحب لعلامة وكلف طححه وعمحه وحززه وخلق له القطر والوبر لكسوته وكلف سدده وعزله وسحبه وخلق له الشجر نفواكهه وكلف عرسه وسفبه والصيم عبيه وخلقت العماقر لادوته وكلف لقطه وحلطها وصعته وكذلك تجد الأشياء على هذا المثال فطر كيف كفى الحقة التي لم تكن عنده فيها حيلة وترك عليه في كل شيء من الأشياء موضع لحركة لما له في ذلك من الصلاح لأنه لو كفى هذا كله حتى لا يكون له في الأشياء موضع شغل وعمل لما حنته لأرض أشر ونظر وأبلع ذلك كله به إلى أن يتعاطى أمور فيها تلف نفسه ولو كفى الناس كل ما يحتاجون لما تهو بالعيش ولا وحدوا له مدة ألا ترى أن امرأ لو برل يقوم وقام حتى يكفى جميع ما يحتاج إليه من مطعم ومشرب وخدمة ترم بالصرع ودرعته نفسه إلى تشاغل بشيء فكيف لو كان طول عمره يكفى لا يحتاج إلى شيء فكان من صوب التدبير في هذه الأشياء التي خلقت لآسان أن يجعل له فيها موضع شغل لكيلا تطره البصلة ولكفه السعل عن عاظمي ما لا يباليه ولا حير له فيه أن دسه قال ابن سيرا في حكمه ابن معشر الآسان خير والماء وهذا كما قل ولكن أنظر كيف دبر الأمر فيها فإن حاجة الآسان إلى الماء أشد من حاجته إلى الخير وذلك أن صبره على جوع أكثر من صبره على العطش ولدي يحتاج إليه من الماء أكثر مما يحتاج إليه من الخير فإنه يحتاج إلى الماء لشربه ووضوءه وغسل ثيابه وأوابيه وسفى أبعامه وردوعه فحصل الماء سدوا لا يشتري ثمن لسقط عن الآسان المئنة في طلبه وتكفبه وجعل الخير مقدراً لا بيان إلا بالحيلة والحركة ليكون لآسان في ذلك شغل يكفه عما يحرقه إليه المراع من الأشر والعبث

أما ترى نصي يدفع إلى المؤذب وهو طفل لم يكامل دهنه فبعيم ذلك ليشغل عن اللعب والعبث الذي ربما حشي عليه وعلى أهله المصرة العظيمة وهكذا

الانسان لو حلا من الشغل يخرج من العيش والأشر إلى ما يعظم ضرره عليه وعلى من قرب منه واعتبر ذلك من نشأ في جدة ورياهية العيش وما يخرج به إليه الترفه والكفاية ولو كان الانسان لا بصيه ألم ولا وجع أكان يرتدع عن الفواحش ويتواضع لله ويعطف على الناس. ألا ترى أنه حين يعرض به وجع تخضع واستكان ورعب إلى ربه في العافية وسط يده بالصدقة فلو كان لا يألم من الضرب بم كان السطان يعاقب الدعار ويدل العتاة المردة وبم كان الصبيان يتعلمون العلوم والصاعات وبم كان العبيد يدلون لأربابهم ويدعون لطاعتهم أفليس في هذا توبيخ للمعطلة الذين جمحدوا التدبير والمثانية الذين نغموا الألم والوجع

لوم بلد من الحيوان إلا ذكور فقط أو أنثى فقط ألم يكن سينقطع السبل وتبد احساس الحيوان فلم صر بعض الأولاد يأتي ذكر أو بعضها أنثى إلا ليديم اشتاغل ولا ينقطع لو رايت تمثال انسان مصور في حائط فقال لك قائل أن هذا طهر من تلقاء نفسه هاها لم يصعه صانع ألم تكن تستهزئ به فكيف يكر هذا في تمثال كالحبال ولا يكره في الانسان الحي الماطق. لم صارت أبدان الحيوان وهي تعتدي أبداً لا تنمو أبداً بل تنتهي إلى غاية من النمو ثم تقف لولا التدبير في ذلك فإن من التدبير الحكيم فيها أن يكون أبداً أن كل صنف منها على مقدار معلوم غير متعاقب في الكبر والصغر فصار ينمو حتى ينتهي إلى غايتها ثم يقف والغذاء مع ذلك قنم لا ينقطع ولو كانت تنمو نمواً دائماً لعطمت أبدانها واشتهت مفاديرها حتى لا يكون لشيء منها حد معروف. ثم كانت أجسام الانس حاصة تستقل عن المشي والحركة ونجفوا عن الصناعات اللطيفة وتعظم المؤنة فيها بحاج إليه للملس والمضجع والتكمين فحسم هذا كله بأن جعلت تنمو حتى تنتهي إلى مفاديرها فتقف عندها ولا تعدوها.

لم لا يتشابه الانسان واحداً بالآخر كما تتشابه الطير والوحش وغير ذلك فإنك ترى السرب من الطباء أو القطا تشابه حتى لا يفرق بين واحد منها وبين الآخر. وترى الناس مختلفة صورهم وخلفهم حتى لا يكاد اثنان منهم يجتمعان في صفة واحدة. والعلة في ذلك أن الناس يحتاجون إلى أن يتعارفوا بأعيانهم وحليتهم لما

يجري بينهم من معاملات وليس بحري بين اسهيم مثل هذا فصح إلى معرفة كل واحد بعينه وحده الا ترى أن المنشئة في الطير والوحوش لا يصرفها شيء وليس كذلك الانسان فإنه ربما تشابه امواتان تشبهاً شديداً فمعظم المؤنة على الدرس في معاملتهما حتى يعطي أحدهما مال الآخر ويؤخذ أحدهما بذنب الآخر وقد يحدث مثل هذا في تشابه الأسماء فصلاً عن تشابه الصور. فمن لطف هذه الدقيق التي لا يكاد تحظر بليل حتى وقف بها على الصواب إلا من وسعت حكمته كل شيء. م صار الرجل وامراه إذا دركا جميعاً سب لهما العانة ثم تسب لرجل النحية وتختلف عن المرأة بولا السر في ذلك فإنه دبر أن يكون ارجل قماءة ربيما على المرأة وتكون المرأة عرساً دحولا له

أعطى الرجل النحية لما له فيها من العرو والحلافة واهبة وصفت امرأة ليسى فيها بشاره بوجه والبهجة التي تشاكل لمفاكهة والمناصعة أفلا ترى لخدعه كيف يتم لها الصواب في الأشياء فتعطي وتمنع على حسب لأرب وامصدقته

وصف الحكماء بأن الطبيعة لا تفعل شئاً لعبير معنى ولا تقصر عما فيه عام الشيء في صفته وامحة تشهد له بذلك فمن أعطى الطبيعة هذه الحكمه ووقوف عن حدود الأشياء فلا محاوره لها ولا تقصر عنها وهذا ما قد تعجز عنه العقول بعد طول التحارب فإن أوحيت للطبيعة الحكمة والقدرة على مثل هذه الأفعال فقد افررت بما زنت لأن هذه هي صفه الخلق وبأنكرت أن يكون هذه للطبيعة بوجه الحق يهتف بأن الفعل للخلق العظيم الحكيم

وقد كنت من القدماء صائفة أنكرت لعمد والتدبر في لأشياء ورعمو أن كونهما بالعرض والافاق كمثل دياغوروس و فيقوروس وأدس من لطيعيين فكذلك مما احمحوها بها هذه الايات التي تولد على محرى طبيعه كالاسن مدي يولد ناقص بدأ ورائداً اصعباً أو يولد مشوهاً مدلل الخلو قالوا فهذا دليل على أن كونه الانسان ليس من تعمد ولا تقدير بل لعرض وكيف انهم أن يكون فرد عبيهم ارسطوطاليس وغيره من الفلاسفة فقدوا أن لدى يكون بالعرض والافاق بما هم شيء يأتي في شرط مرة لإعرض تعرض للطبيعة فتزيلها على سبيلها وسن نمره

الأمور لطبيعية الجارية على شكل واحد جريئاً دائماً متسامحاً ونحن نرى أصناف الحيوان تجري على أكثر ذلك على مثال ومنهاج واحد كالإنسان يولد وله يداً ورجلان وخمس أصابع وغير ذلك مما عليه الجمهور من الناس. فأما ما يولد وله يداً ورجلان وخمس أصابع وغير ذلك مما عليه الجمهور من الناس. فأما ما يولد على خلاف ذلك فإنما هو لعلته تكون في الرحم أو في المادة التي منها يشق الجنين كما قد يعرض في الصناعات حتى تعتمد الصانع الصواب في صنعه فيعوق دور ذلك عائق من الفساد في الأداة أو في الآلة التي يعمل بها الشيء وقد يحدث مثل ذلك في أولاد الحيوان للأسباب التي وصفنا فيأتي الولد ناقصاً أو رثلاً أو مشوهاً ويسلم أكثرها فيأتي سوياً لا علة فيه فكما أنه يحدث على بعض أعمال لصناعة لأعراض تعرض فيه ولا يجوز عليها أجمع الإهمال وعدم الصعفة. كذلك ما يحدث على بعض الأفعال الطبيعية العائق يدخل عليه لا يوجب على جميعها أن يكون بالعرض والاتفاق. وقول القائل في الأشياء إن كونها بالعرض والاتفاق من قبل أن شيئاً منها يأتي على خلاف الطبيعة حتى لعرض بعرض له حصاً وجهه

فإن قلت ولم صار هذا الحدث في الأشياء قلت أنه ليس كون الأشياء أيضاً باضطراب من الطبيعة حتى لا يمكن أن يكون سواء كما قال القائلون بل هو تقدير وعمد من الخالق إذ جعل الطبيعة تجري أكثر ذلك على مجرى منهاج معروف وتروى أحياناً عن ذلك لأعرض تعرض لها فيستدل بذلك على أنها مصرفة مدبرة فقيرة إلى إرادة الخالق وقدرته في بسوء عايتها وإتمام عملها.

إنخذ أناس هذه الآفات الحادثة في بعض الأزمان كمثل الوباء واليرقان والبرد والجراد دريعة إلى جحود الخالق والتدبير. فيقال في جواب ذلك أنه إن لم يكن خالق مدبر فلم لا يكون أكثر من هذا وأقطع من ذلك أن تقع السماء على الأرض ونهوى الأرض فتذهب مبعلاً وتتحلب الشمس عن الطلوع أصلاً وتحجب الأنهار والعبور حتى لا يوجد ماء لشفه وتركد الريح حتى تختمر الأشياء وتفسد ويفيض ماء البحار على الأرض فيغرقها وهذه الآفات التي ذكرها من الوباء والجراد وما أشبه ذلك ما بالها لا تدوم وتمتد حتى تحتاج كل ما في العالم بل تحدث في الأحيان ثم لا

تلت أن يرفع . أفلا ترى أن العالم يصاب ويحبط من تلك الآفات الجلية التي إن حدث شيء عليه منها كان فيه بواره ويلدع أحياناً هذه الآفات اليسيرة لتأديب الناس وتهويمهم ثم لا تترك هذه الآفات أن تدوم بل تكشف عنهم عدد القسوط منهم فيكون وقوعها بهم موعظة وكشفها عنهم رحمة

قد سكر لمعطلة أيضاً ما أبكرت المسابية من المكارة والمصائب التي نصيب الناس فكلاهما يقول أن كان للعالم حلاق رؤوف رحيم فلم تحدث فيه هذه الأمور المكروهة والفاتل بهذا القول يذهب إلى أنه ينبغي أن يكون عيش الإنسان في هذه الدنيا صافياً من كل كدر ولو كان هذا هكذا لقد كد الإنسان سيخرج من الأثر والعتو إلى ما يصلح له معه دين ولا دنيا كالذي ترى كثيراً من الأمراء المترفين ومن شأ في الجدة والامس يرحون حتى أن أحدهم ينسى نفسه أنه بشر مريب وأن صيراً يمسسه أو مكروهاً ينزل به وانه يجب عليه أن يرحم صعباً أو يواسي فقيراً أو يرثي لميتاً أو ينعتف على مكروب . فإذا عضته المكارة ووجد مصضها انتعظ وأبصر كثيراً مما قد كان عافلاً عنه ورجع إلى كثير مما كان يجب عليه . ولمسكرون هذه الأمور المؤدية بمرة الصبيان الذين يذمون الأدوية المرة البشعة ويتسحطون المنع من الأطعمة الصارة وتكرهون الأدب والعمل ويحبون أن يفرغوا اللهو والبطال ويأحوا كل مطعم ومشرب ولا يعرفون ما تؤديهم إليه البطالة من سوء النشوء والسيرة والعادة وما تعقبهم الأطعمة الصارة من الآداء والاسقام وما لهم في الأدب من الصلاح وفي الأدوية البشعة من المصعة وإن شاب ذلك بعض الكراهة . فمن قالوا ولم لم يكن الإنسان معصوماً حتى لا يحتاج إلى تلديغه بهذه المكارة قلنا إذا كان يكون غير محمود على حسنة يأتيها ولا يستحق للثواب عليها . فإن قالوا وما كان بصره إلا يكون محموداً على الحسنات مستحقاً للثواب بعد أن يصير إلى غاية النعم واللذة قلت أعرضوا على أمريء صحيح الجسم والعقل أن يجلس منعماً ويكفي كل ما يحتاج إليه فلا سعي واستحقاق فاسظروا هل تقل نفسه دلث بل ستحدوه بالقليل عما يناله بالسعي والحركة أشد سروراً واعتباطاً منه بالكثير مما يناله فلا استحقاق . وكذلك نعيم الأحرى إنما يكون لأهله بأن ينالوه بالسعي والاستحقاق له

والعنة على الانسان مصاعفة بان في هذا الباب أعدله الثواب الحريل على سعيه في هذه الدنيا وجعل له السيل إلى أن سال ذلك سعي واستحقاق فيكمل له السرور والاعتباط بما يناله .

فإن قالوا أو ليس قد يكون من الناس من يركن إلى ما نال من خير وإن كان لا يستحقه فما الحجة في مع ذلك من رصي أن ينال نعيم الآخرة على هذه الجهة (قلنا) إن هذا باب لو فتح للناس لخرحوا إلى غابة الكلب والصرارة على المواحش واستهك المحارم فمن كان يكف نفسه عن فاحشة أو يتحمل المشقة في باب من أبواب السر لو وثق أنه صائر أن النعيم لا يحلة أو من كان يأمن على نفسه وأهله وماله لو أمن الناس والحساب والعقاب فكان ضرر هذا الباب مبال اساس في هذه الدي قل لا حرة ثم كن بسنوي الأبرار والصحار في الدنيا ولا حرة فيكون في ذلك تعطيلاً للعدل والحكمة معاً وموصعاً للطعن على لتدبر بحلاف الصواب ووضع الأمور في غير مواضعها

وقد يتعلق هؤلاء بالأفات التي تصيب ناس نعم السر والصحار أيضاً وسلي السر ويسلم منها التاجر فيقربون كيف يحور هذا في التدبر من الحكم وما الحجة في ذلك فقرب في جواب ذلك أن الافات وإن كانت تال لصلاح واعتدح حميد بلا مبيز فإن الله تعالى يجعل في ذلك صلاحاً للصغير كنهما أما الصالحون فلان سي سهم من هذا يذكرهم نعم رهم عندهم في سائف أيامهم فيحدوهم ذلك عن الشكر والصبر وأما لطلحون فإن مثل هذا إذا ناهم كسر شرهم وورعهم عن المعاصي وعن المواحش . وكذلك يجعل لمن سلم منها من الصغير صلاحاً في ذلك

أما الأبرار فإنهم يعتصمون بى هم عليه من السر والصلاح وأما الصغار فإنهم يعرفون رحمة رهم وتطوله عليهم بالسلامة من غير استحقاق فيحصهم ذلك على لرأفة بالناس والصفح عن أساء إليهم

ولعلك تقول أترك هذا في الآفات التي تصيب الناس في أموهم أرأيت ما شتو به في أبدانهم فيكون فيه نلهم كمثل الحريق والسيل والخسف ما الحجة في

ذلك فمور أن الله تعالى يجعل في هذا أيضاً صلاحاً للبصير جميعاً أما الأبرار
فما هم في مصارقة هذه الدر من الراحة من تكاليفها والراحة من مكارهها وأما
المحار فلما هم في ذلك من محيص أوزارهم وحسمهم عن الازدياد منها

وحملته امور أن الخالق تعالى يصرف هذه الأمور كلها إلى الخير والمنفعة فكيف
إنه إذا قلعت لريح شجرة أو قصفت بحلة أحدها الصانع الرفيق فاستعملها إلى
صروب المنافع كذلك يفعل المدر الحكيم في الآفة التي سرل الناس في ألداهم
وأموالهم فيصرفها أجمع إلى الخير والمنفعة

فإن قلت ولم يحدث على الناس مثل هذه لأحداث قد لاكيلا يركبوا في
طول السلامة فيعبروا البحر في الركوب إلى معصي ويمتر الصالح عن الاجتهاد في
البر فإن هذين الأمرين جميعاً يعلنان على الناس في حال الخفص والدعة وهذه
الحوادث التي تحدث عليهم تدعهم وتسهم على ما فيه رشدهم ولو حلوا منها لعبوا
في البطعان والمعصية كما غلوا في أول الرماد حتى وحب عليهم السرار بطوفون
وتطهير الأرض منهم

ومما يبقمه الجاحدون لتدبير في الموت والنساء فيهم يذهبون إلى أنه يسعى أن
يكون الناس مخلدين في هذه الدنيا مرثين من الآفة فقد يسعى أن يسوق هذه
القوت إلى عنه فسطر ما محصوله أفرأيت لو كان كل رجل دخل العالم وسدح
يقون فلا يموت أحد منهم ألم تكن الأرض ستصير بهم حتى تعورهم تسك
ومزارع والمعيش أفليس لو كانوا لا يقصهم أولاً فأولاً يتنافسون في استكر
والمعاش وحتى نشب بينهم في ذلك الحروب وتسلط فيه الدماء وكيف تكون
حالهم لو كانوا يولدون ولا يموتون هذا إلى ما كان سيعت عليهم من حرص
والشره وقساوة القنوب فيهم لو وثقوا بأنهم لا يموتون لما وقع أحد شيء يباليه ولا
يصرح أحد عن شيء يباليه ولا يصرح عن شيء سيباليه ولا يسألون عن شيء يحدث
عليهم ثم كانوا يملون الحياة وكل شيء من أمور الدنيا كما قد يمل الحياة من ص
عمره حتى يتمي الموت والراحة من الدنيا

فإن قالوا أنه كان يسعى أن ترفع عنهم المصدر والأوصاف حتى لا يتمو

الموت فلا يتوفوا إليه فقد وصفنا ما كان هذا مخرجهم إليه من العتو والأشر الحامل لهم عن ما فيه فساد الدين والدنيا .

فإن قالوا أنه كان ينبغي أن لا يتوالدوا كي لا يصيق عليهم المساكن والمعيش قلنا إذا كانوا يحرم أكثر هذا الخلق دخول العالم والاستمتاع بعم الله ومواهبه في الدارين جميعاً إذا لم يدخل العالم إلا قرن واحد لا يتناسلون ولا يتولدون فإن قالوا كان يخلق في ذلك القرن الواحد من الناس مثل ما خلق ويخلق إلى انقضاء العالم رجع الأمر إلى ما ذكرنا من صيق المساكن والمعاش عنهم ثم لو كانوا لا يتولدون ولا يتناسلون ذهب موضع الاسنان بانقراضات ودوي الأرحام والانتصار لهم عند الشدائد وموضع تربية الأولاد والسرور بهم فهي هذا دليل على أن ما تذهب إليه الأوهام سوى ما جرى به التدبير خطأ وسفاه من الرأي والقول ولعل طاعناً يطعن على التدبير من جهة أخرى فيقول كيف يكون ههنا تدبير وبحر يرى الناس في هذه الدني من عريير وضعيف فالقوى يظلم ويعصب والصعيف يُظلم ويسام الحسب والصالح فقير مستل والفاقر معاق موسع عنه ومن ركب فاحشة وانتهك محرماً لم يعاقل بالعقوبة فهو كان في هذا العالم تدبير لحرب الأمور على القياس القائم وكان الصالح هو المروء والصلح هو المحروم وكذا القوى منع من ظلم الضعيف واستهك للمحارم يعاقل فيقول في جواب ذلك إن هذا لو كان هكذا لذهب موضع الاحسان والتحرية لي فصل بها الاسنان وحمل الناس على البر والعمل الصالح احساناً للثواب وثقة بما وعد الله منه ولصار الناس بمنزلة الدواب التي تناسر بالعصف والعبث ويلمعها لكل واحد منها ساعة فساعة فتستقيم على ذلك ولم يكن أحد يعمل على يقين بثواب أو عصف حتى كان يخرجهم من حد الأسسة إلى حد الهام التي لا تعرف ما عاب ولا تعمل إلا على الخاصر وكان يحدث منها أيضاً أن يكون الصالح بما يعمل لصلحات للرفق والسعة في هذه الدنيا ويكون الممنوع من لظلم والمواحش إنما يعفو عن ذلك لترقب عقوبة بارئة تنزل به من ساعة حتى تكون أفعال الناس كلها تجري على الأمر الخاصر لا شوبه شيء من اليقين بما عند الله ولا تستحق ثواب الآخرة والعيم الله ثم فيها مع أن هذه الأمور التي ذكرها العا والفقر والعافية والابلا ليست بحاربه على أفعال

فما من أمدأ من قد نحري أحيانا على القياس ولأمر المفهوم فقد يرى كثيراً من الناس الصالحين يرفقون لما لا يصرح من التدبير ولكن لا يسبق إلى قلوب الناس أن المساق هم المرزوقون والأبرار هم المحرومون فيؤثرون الفسوق على الصلاح ويرى كثيراً من المساق معاجلون بالعقوبة إذا تعاقم طغيانهم وعظم صررهم على الناس وعلى أنفسهم كما عوجل فرعون بالعرق وسوا إسرائيل بالتيه وباحتصر بالقتل وإن أمهل بعض لأشهر بالعقوبة وأخر بعض الأجير بالثواب إلى اندار الأجرة لأسباب تحمي على العباد لم يكن هذا مما يبطل التدبير فإن مثل هذا قد يكون من ملوك الأرض أيضاً فلا يبطل تدبيرهم بل يكون تأخيرهم ما أحرروا وتعجبهم ما عجلوا داخلًا في صواب الرأي والتدبير

ثم يقول أيضاً أنه كان القياس يوحد والشواهد تشهد بأن للأشياء حلقاً حكيمياً قادراً مما يبعه أن يدبر خلقه فيه لا يصح في القياس أن يكون الصانع يهمل صاعته إلا لإحدى حلال ثلاث م عجز وإما جهل وإما شرارة وكل هذا محال في صفة الخلق لقديم تعالى ذكره وذلك أن لعجز لا يستطيع أن يأتي بمثل هذه الخلائق العجيبة الخليفة والجاهل لا يهتدي لما فيها من الصواب والحكمة والشرير لا سطول بحلفها وإشائها

فإذا كان هذا هكذا وحب أن يكون الخلق هذه الخلائق يدبرها لا محالة ومن ك لا يدرك أنه ذلك التدبير ومحريه فإن كثيراً من تدبير الملوك أيضاً لا يفهمه العامة ولا تعرف أسامه لأنه لا يعرف داخله أمر الملوك وأسرهاهم فإذا عرف سبه ووجد صواباً قائماً على القياس والمحنة

لو شككت في قوة بعض الأدوية والأطعمة فينبى لك من وجهين أو ثلاثة أنه حار أو بارد ألم تكن تقضي عليه بذلك وتفي الشك فيه عن نفسك في بالك لا يقضي على العالم بالخلق والتدبير مع هذه الشواهد لكثيرة وأكثر منها ما لا يحصى كثرة لو كان نصف ما في العالم مشكلاً صوابه لما كان من حرم الرأي وسنة الأدب ن يقضي على العالم بالإهمال لأنه لو كان في النصف الآخر وما يظهر من فيه لصواب والانتقام ما يرفع الوهم عن التسرع إلى هذه القصص فكيف وكل ما فيه إد

فتش واحد على عاية الصواب حتى انه لا يحظر ناسل شيء إلا واحد ما عليه الخفة
أصح وأصوب منه .

أعلمت ما اسم العالم لسان اليونانية فإن اسمه جاري المعروف باليونانية
موسموس وتفسير موسموس الزينة وكان المسمى به هذا الاسم فيما يرمعون
فيثاغوروس الفيلسوف ثم جرى عليه الملائسة والناس من بعد

أفكر الحكماء والفلاسفة يسمونه بهذا الاسم إلا لما رأوا فيه من التقدير
والظام مع أنهم لم يرضوا أن يسموه تقديراً ونظاماً حتى سموه رينة ليحروا به مع
ما هو عليه من الصواب والاتقان في عاية الحسن والبهاء

لعبت من قوم لا يقصون على صناعة الطب بالخطأ وهم يرون الخطب
بخطىء ويقصون على العالم بالإهمال ولا يرون شيئاً مهماً لا تتعجب من خفاء
الجاني (دوسي) حين جهل موضع الحكمة في الخلق حتى أسل لسانه بدمه به
ولكن تعجب من المحدث (ماي) الذي ادعى انه أول علم للأسرار حدث على
عن دلائل الحكمة في الخلق حتى بسبه إلى الخطأ وسب حاله إلى الجهل بآثار
وتعالى الحكيم الكريم

وأعجب من هذين جميعاً المعطلة البصر رما أن يدركوا بالحسن ما لا يدرك
بالعقل فلم أعورهم ذلك حرجوا إلى الخجود والكذب قائلو ولم لا يدركه العقل
قلنا لأنه فوق مرتبة لعقل كما لا يدرك البصر ما هو فوق مرتبته . فبك ما رأيت
حجراً يرتفع في الهواء لعلمت أن رامياً رمى به وكان الذي أراك البصر من ذلك
دهاب حجر علواً فم علمك أن رامياً رمى به وكان الذي أراك البصر من ذلك
دهاب حجر علواً فأف علمك أن رامياً رمى به فليس من قبل البصر بل من قبل
العقل لأن العقل هو الذي غير فيعلم أن الحجر لا يذهب علواً من تلقاء نفسه أفلا
ترى كيف وقف لبصر على حده فلم يتجاوز فكذاك يقف العقل على حده من
معرفة الخالق فلا يعدوه

قالوا فليست نعبه إذا قلنا بل عقل إقرار وليس عقل يحاطة كما قد علم
الاسان أن فيه نفساً وهو لا يعاينها ولا يدركها بحسة من الحواس ومن أمثال ذلك

ايضاً النقطة التي لا جزء لها فإنها تجب في العقل باضطرار من قبل أنه لا بد من أن يكون بدء الخط من نقطة ولا يمكن أن تظهر للحس لأن النقطة الواقعة تحت الحس متحرثة لا محالة وكذلك يقول أصحاب علم الهندسة أن المثلثة الصحيحة هي التي يوجبها القياس باضطرار فإما المخطوطية فالخطوط اواقع عليها الحس فلا يخلو من أن يدخلها شيء من الخلل وأن اجتهد مجتهد في إقامتها. وعلى حسب هذا يقول إن العقل يعرف الخالق من جهة العبرة والدلالة لا من جهة الحس والأحاطة وبالحملة أنه يعرفه من جهة ما يوجب عليه الإقرار به ولا يعرفه من جهة ما يوجب الاحاطة بصفته.

قالوا فكيف يكلف العبد الضعيف معرفته والعقل اللطيف لا يحيط به (قلنا) إنما يكلف العباد من ذلك ما في طاقتهم أن يبلغوه وهو أن يوقسوا به ويفقوا عند أمرهم ولم يكلفوا الاحاطة به وبصفاته كما أن الملك لا يكلف رعيته أن يعدموا طويل هو أم قصير وأبيض هو أم أسمر إنما يكلفهم الأدعان لسلطانه والانهاء إلى أمره ألا ترى أن رجلاً لو أن باب ملك فقال أعرض علي نفسك حتى أتقصي معرفتك وإلا لم أسمع لك كان قد أحل بنفسه العقوبة فهكذا القائل أنه لا يقر بالخالق حتى يحيط بكنهه متعرض لسخطه

قالوا أفليس قد نصمه فقول هو العزيز الحكيم الجواد قلنا كن هذا صفات إقرار واعتراف ونسبت وليست بصفات إحاطة فإننا نعلم أنه حكيم ولا نحيط بكنهه ذلك منه وكذلك قدير وجواد وسائر صفاته كما قد نرى السماء ولا ندري ما جوهرها وبرى البحر ولا ندري أين منتهاه بل هو فوق هذه الأمثال ما لا نهاية له لأن الأمثال كلها تقصر عنه ولكنها تقود العقل إلى معرفته.

قالوا فلم تخلف فيه قلنا لقصر الأوهام عن مدى عظمته وتعديلها إقرارها في طلب معرفته وإنما تروم الاحاطة به وهي تعجز عن ذلك فيها دونه.

فمن ذلك مده الشمس التي تراها تطلع على العالم كل يوم ولا يقف عن حقيقة أمرها ولذلك كثرت الأقويل فيها واختلفت الفلاسفة المذكورون في وصفها فقال أركمندروس هي فلك أجوف مملوء ناراً له فم يجيش بهذا الروح والشعاع

وقال كسيمانيس هو اجتماع أجزاء نارية يدفعها البخار الرطب. وقال
ركسمانيس هو سحابة ملتهبة. وقال فيلاغوس الفشاغوري هو جسم زحاحي
يقبل نارية العالم ويرسل عليها شعاعه وقال الأسطو انقون هو جوهر لطيف يتصعد
من البحر وقال أفلاطون هو أجزاء كثيرة محتمة من النار وقال أرسطاطاليس هو
من جوهر خامس سوى الجواهر الأربعة.

ثم اختلفوا في شكلها أيضاً فقال اركسمانيس هو بمسلة صفيحة عريضة
وقال الاسطوانقون هي كالكرة المدحرجة وقال أرسطاطاليس مثل ذلك.

وكذلك اختلفوا في مقدارها فزعم انكسمندوس إنها مثل الأرض سواء
وقال انكسيمانيس بل هي أقل من ذلك وقال انكسامورس هي أعظم من الحرير
العظيمه وقال ابرقيطوس هي مقدار قدم الانسان وقال اصحاب الهندسة هي
أضعاف مائة وسبعين مرة من الأرض.

وفي اختلاف هذه الأقاويل مهم في الشمس التي يقع عليها القمر ويدركها
الحس دليل على أنهم لم يقفوا على الحقيقة من أمرها فإذا كانت هذه الشمس التي
يقع عليها البصر ويدركها الحس قد عجزت لعقول عن الوقوف على حقيقتها
مكم فكم فما لحري ما لطف عن الحس واسر عن الهم

قالوا وم اسر قلبه لم يستتر بحيلة تخلص إليها كمن ينجب عن الناس
بالأبواب والستور إنما معنى قولنا أنه استتر أنه لطف عن مدى ما يبلغه الأوهام كما
لطفت النفس وارتفعت عن ارتفاعها بالبصر.

إن قلت لم لطف وتعالى كان ذلك خطأ من القول لأنه لا يلين بالدي هو
علة كل شيء إلا أن يكون فائقاً لكل شيء متعالياً عن كل شيء قلنا إن الذي
تطلب معرفته من الأشياء أربعة أوجه أولها أن ينظر أموجود هو أم ليس موحداً
والثاني أن يعرف ما هو في ذاته وجوهره والثالث أن ينظر كيف هو وما صفته والرابع
لماذا ولأية علة فليس في هذه الوجوه شيء يمكن المخلوق أن يعرفه من الخالق حق
معرفته خلا أنه موحد فقط فما ما هو وكيف هو فيمتنع عليه كنهه وكمال المعرفة
به. وإما لماذا فهو ساقط في صفة الخالق لأنه علة كل شيء وليس شيء معدته. ثم

ليس علم الانسان بأنه موجود وحيث أنه ان يعلم ما هو وكيف هو كما أن علمه
بوجود النفس لا يوجب له ان يعلم ما هي وكيف هي وكذلك الأمور الروحانية
للصميم

قالوا أفرطتم فيما تصفون من قصور العلم عنه حتى كأنه غير معلوم قنن
لذلك هم من جهة إدراك العقل معرفة كنهه والاحاطة به وهو من جهة أخرى
غرب من كل قريب إذ سدل عليه نادلائل الشافية وقد قال ارسطاططيس في
احواب شبيه به القور في كتبه الذي سماه ما بعد الطبيعة فإنه وصفه هذه
الصفة فقل هو قريب بعيد فإنه من جهة كالمواضع لا يحصي على أحد ومن جهة
كالعاصم لا يدركه أحد فكذلك العقل أيضاً طاهر شواهد ومستتر في ذاته فلا
يكر أحد ان يقول في صاعه ودرته نحو ما قيل فيه .

بهذا منتهى جميع ما في هذا كتاب من الدلائل على الخلق والسير وهو
قليل من كثير وجزء من كل فإم العلم الكامل فعد الخلاق العلم الحكيم له
اشكر كثيراً دائماً مشاركاً فيه تم الكتاب

قل كاته في آخره ما نصه

وهذا حين أتينا على آخر كتاب الدلائل والاعتبار تأليف أبي عثمان عمرو بن
بحر الجاحظ وحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلامه على رسوله محمد و
آله الطيبين الطاهرين وكذا الفراع من رقبته في شهر ربيع الآخر سنة ثلاثة وعشرين
بعد الألف اهـ

فهرس كتاب
الدلائل والاعتبار

فهرس

صفحة

٥	أول العبر هبته هذا العالم وتأليف أحرته
٦	فكر في لون السماء .
٦	فكر في طلوع الشمس وعروها
٧	فكر في نقل الشمس
٨	فأما مسير القمر
٨	تأمل شروق الشمس على العالم
٨	فكر في مقادير الليل و نهار
٩	فكر في إدارة القمر
١٠	فكر في هذه لسحوم
	فكر لم صار هذا القمك شمسه وقمره
١١	وسروحه يدور على العالم
١٢	فكر في هذا اخر و سرد
١٣	تأمل حكمة الباري في خلق نار
١٤	فكر في خلق هذه الأرض
١٥	انظر إلى هذه الخيال
١٥	فكر في هذه المعادن
١٦	فكر في كثرة ما خلق الله من هذه الجواهر الأربعة .
١٨	فكر في برول المطر
١٩	فكر في هذا اسنات
٢٠	في هذا الربيع

٢٠	تأمل نبات هذه الحبوب
٢١	تأمل الحكمة في خلق الشجر
٢٢	فكر في هذا العجم والسوي
٢٢	فكر في صرب من التندير في الشجر
٢٣	فكر في خلق الرمانة
٢٣	فكر في حمل اليقطين
٢٤	فكر في حله محدهما في المحل
٢٤	فكر في هذه العقاقير
٢٦	فكر في أحسام الأنعم
	فكر في خلقه هذه الأصناف الثلاثة من
٢٦	الحيوان، الإنسان، والكلاب اللحم
٢٦	وكللات أسات
	أنظر إلى هذه الهائم كيف كسيت أحسامها
٢٩	هذه الكسوة
٢٩	فكر في حقه عحية جعلت في الهائم الوحشية
٣٠	تأمل وجه الدرة كيف هو
٣١	أنظر إلى مشعر الفيل
٣١	فكر في خلق الرافعة
٣٢	تأمل خلقه القرد
٣٣	وهل سمعت ما يتحدث به عن سبي
٣٣	فكر في صروب من المطن جعلت في الهائم
٣٤	تأمل الدرة الحقيمة
٣٤	أنظر إلى اسمل
٣٤	أنظر إلى هذا الذي يقال له البيت
٣٥	فأما العسكوت
٣٥	تأمل جسم الطائر وجمفته

٣٦	أنظر إلى الدجاجة
٣٦	فكر في حوصلة الطائر
٣٨	أنظر إلى العصافير
٣٩	أنظر إلى النحل
٣٩	أنظر إلى هذا الجراد
٤٠	تأمل خلق السمك
٤١	انصرف الآن إلى خلق الإنسان
٤١	فكر الآن في أمر الإنسان
٤٣	فكر في أعضاء البدن
٤٣	فكر في وصول الغذاء إلى البدن
٤٤	تأمل حكمة التدبير في تدبير تركيب البدن
٤٤	أنظر إلى هذه الحواس
٤٥	فكر في الذي عدم البصر من الناس
٤٧	فكر في الصوت
٤٨	أما رأيت الدماغ الخ
٥٠	تأمل التدبير في خلق الشعر والأظفار
٥١	فكر في الريق
٥١	أعلمت ما في الأطفال من المنفعة في البكاء
٥٣	فكر في هذه الأفعال الطبيعية التي جعلت في الإنسان
٥٤	فكر فيها أنعم الله تعالى به على الإنسان في هذا المنطق
٥٥	فكر فيما أعطي الإنسان علمه
٥٦	وما ستر على الإنسان علمه مدة حياته
٥٧	فكر في الأحكام كيف دبر أمرها
	قال ابن شبرا في حكمته رأس معاش
٥٨	الإنسان الخبز والماء
٥٩	لم لا يتشابه الإنسان واحداً بالآخر

وقد كانت من القدماء طائفة أنكرت العمد	
والتدبير في الأشياء	٦٠
قد تنكر المعطلة أيضاً ما أنكرت المنانية من	
المكاره الخ	٦٢
وجملة القول إن الخالق تعالى يصرف هذه	
الأمور كلها إلى الخير	٦٤
ومما ينقمه الجاحدون للتدبير في الموت والقيام	٦٤
كان القياس يوجد والشواهد تشهد أن	
للأشياء خالقاً حكيماً	٦٦
أعلنت ما اسم العالم بلسان اليونانية فاسمه	
جاري المعروف باليونانية فوسموس	٦٧
واعجب من هذين جميعاً المعطلة الذين راموا	
أن يدركوا بالحوس مالا يدرك بالعقل	٦٧
قالوا فكيف يكلف العبد الضعيف معرفته	٦٨
قالوا فلم نختلف فيه	٦٨
فمن ذلك هذه الشمس التي تراها تطلع	
على العباد	٦٨
ولم استتير فلنا الخ	٦٩
قالوا أفرطتم فيما تصفون من قصور العلم عنه	٧٠

أبو سلوم المعتزلي

أبو سلوم المعتزلي